شُبهَاتُ التيارِ المَدْخَليِّ حَولَ التصَوفِ
(د. محمود عبدالرازق الرضواني أنموذجًا)
عَرْضٌ وَنَقْدٌ

إعداد الدكتور
عليّ محمد حسن عليّ
مدرس العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

شبهات التيار المدخلي حول التصوف
(د. محمود عبدالرازق الرضواني أنموذجًا)
عرض ونقد

علي محمد حسن علي

قسم العقيدة والفلسفة، كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق ، جامعة الأزهر ، الزقازيق ، مصر .

البريد الألكتروني : dralielazhry@azhar.edu.eg

الملخص :

يهدف البحث إلى الدوران حول كون التصوف من العلوم التي تتعلق بالقرآن والسنة، لكن التيار المدخلي المتشدد لا يقر بالتصوف ولا بأهله، ودائمًا ما يتهم التصوف بالخروج عن دين الله والبعد عنه، من أجل ذلك أردت أن أطرح هذا الموضوع على بساط البحث العلمي، وذلك من أجل بيان الحق من الباطل، والرد على من يطعنون في التصوف دون بينة، فتناول البحث تعريف التصوف، وبيان نشأة هذا التيار المدخلي، وأهم أقطابه، ثم بيان بعض شبهات الدكتور. محمود عبدالرازق الرضواني، والرد عليه، وبيان معتقد علماء التصوف مكتفيًا بالشيخ أحمد زروق، ثم الخاتمة ونتائج البحث.

الكلمات المفتاحية: شبهات، التصوف، المدخلي، الرضواني.

Madkhalis Suspicions about Sufism (A case study of Dr. Mahmoud Abdel Raziq Al Ridwani) An Analytical Critical Approach

`Ali Muhammad Hassan Ali

Lecturer of Islamic Theology and Philosophy,

Faculty of 'Usul Ad-Din and Da`wah in Zaqazig- Al-Azhar University- Egypt

EMAIL : dralielazhry@azhar.edu.eg

Abstract:

The research is divided into an introduction, a preface, three chapters and conclusion of the research. Mysticism is one of the sciences that relate to the Qur'an and the Sunnah, but Madkhalis do not recognize mysticism nor its people, and always accuse mysticism of being out of the religion of God and away from it. For that I wanted to tackle this topic to distinguish between right and false beliefs and as a reply to those who attack Mysticism without a proof. The research includes definition of Mysticism, how Madkhalism has originated and its most important figures, then some of Dr. Mahmoud Abdel Razek Al Ridwani's suspicions, defeating his suspicions, illustrating the belief of Mysticism scholars (Sheikh Ahmed Zarrouk only as a model), and then a conclusion and search results

Keywords: Suspicions - Sufism – Madkhalis - Al Ridwani .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي ليس له شبيه ولا شريك ولا ولد، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم صاحب الخلق الكريم، قال تَعَالَىٰ ممتدحًا خلقه العظيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(القلم: ٤).

أَمَّا بـــَعْدُ :

فإن الله تَعَالَىٰ قد خلق الإنسان وميزه بتصنيف العلوم عن باقي المخلوقات، وقد كان لعلم السلوك = التصوف مكانة عليا في تصانيف كبار العلماء، ولقد صنف في ذلك السلف والخلف، وقد رأينا من يُثبتُ ومن يُنكرُ علىٰ مر العصور، ومن علماء التيار السلفي من دافع عن التصوف وألف فيه مصنفات كبرى، ولم يرموا التصوف وأهله بالبدع علىٰ سبيل الإجمال، حَتَّىٰ وجدنا أن التيار المدخلي قد ناصب كل من خالفه العداء، وأجهزوا تارة علىٰ المدرستين الأشاعرة والماتريدية، ورموهما بالمروق تارة، وبالخروج عن الدين تارة أخرى، ثم ألفوا مؤلفات يرمون فيها التصوف وأهله بالبدع والخرافات وكونهم قد جاءوا بدين جديد، دون التفرقة بين الحق والباطل، ولم يرقب هذا التيار في التصوف وأهله إلًّا ولا ذمة..

فقد رأيت من باب الإنصاف أن أعرض رأي هذا التيار وقد اقتصرت علىٰ شخصية واحدة وهي د. محمود عبدالرازق الرضواني . صاحب قناة البصيرة المصرية، وقد عرضت رأيه كاملًا ثم بدأت بالرد علىٰ الشبهات متتابعة.

فإنه لا بد علىٰ الباحث المنصف أن يعرض الرأي والرأي الآخر ليصل إلىٰ بغيته، التي هي ثمرة البحث.

فرأيت من واجبي أن أخوض غمار هذا البحث، أبغي الوقوف علىٰ معرفة الحق، بعيدًا عن الشطط والغلو، حَتَّىٰ يتضح الحق من الباطل، من منطلق ما تحملناه من أمانة إظهار الحق، وبيان الصواب من الخطأ، وانطلاقًا من قول الله

تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(التوبة: ١٢٢).

وانطلاقًا من قول الله تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ علىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(النساء: ١٣٥).

أسباب اختيار الموضوع:

١. ما تتعمده الفرق والتيارات المعاصرة من الطعن في التصوف ومحاولة تشويه صورته الحقيقية، فرأيت من واجبي إماطة اللثام علىٰ خطأ هذا التيار وبيان الحق من الباطل.

٢. إصرار هذا التيار علىٰ أنه علىٰ منهج واحد هو الحق منذ بدايته ظهوره، فأردت أن أبين حقيقة هذا التيار في ترجمة جاءت في صدر هذا البحث.

٣. مغالطات هذا التيار حول تعريف التصوف، وقضية الاشتقاق اللغوي، مما يؤكد رفض هذا العلم، فأردت أن أطرح القضية علىٰ بساط العلم اللغوي، لبيان خطأ هذا الرأي.

٤. ما نلاحظه من الخلط بين أفعال البعض وانحراف بعض الشخصيات لا يعني حقيقة الحكم علىٰ الكل، وهذا بالضبط ما انتهجه هذا التيار في تصدير الحكم الكلي بسبب أفعال البعض، فأردت عرض اعتقاد كبار الصوفية والمترجم لهم في كتب أعلام المدرسة السلفية.

إشكاليات البحث: وتمثل هذه الإشكاليات في بعض التساؤلات الآتية:

ما المراد بالتيار المدخلي؟، وكيف نشأ؟، ما أهم صفات هذا التيار؟، ما المراد بالتصوف؟، ما هي أهم الشبهات المثارة من د. الرضواني؟، ما العلاقة بين ظهور التصوف وغيره من العلوم؟، ما المقصود من قضية الاشتقاق اللغوي للتصوف؟، ما

اعتقاد الصوفية الحقة؟.

هذه التساؤلات وغيرها حاول الباحث جاهدًا الرد عليها بين دفتي بحثه قدر استطاعته.

المنهج المستخدم: استخدم الباحث عدة مناهج في بحثه هي:

١. المنهج التاريخي: فقد اعتمد عليه الباحث في السرد التاريخي لهذا التيار، وملابسات ظهوره، وتقديم أقوال أرباب التصوف وفقًا لتاريخ الوفاة.

٢. المنهج التحليلي: وبه بين الباحث تحليل شبهات هذا التيار وفقًا للتأصيل الشرعي، واستنادًا للتحليل المنطقي الصحيح.

٣. المنهج المقارن: وبه يتم المقارنة بين شبهات نموذج هذا التيار وبين أقوال أرباب التصوف.

٤. المنهج النقدي: وبه بين الباحث أخطاء هذا التيار في فهمه لقضية التصوف، وتوجيه النقد العلمي لمثير هذه الشبهات.

خطة البحث: قسم الباحث بحثه إلىٰ مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وثبت للمراجع

أما المقدمة: فقد اشتملت علىٰ أهمية الموضوع والمنهج المستخدم والتقسيم.

وأما التمهيد: فقد اشتمل علىٰ أهم المصطلحات الواردة بالبحث : أولًا التعريف بالجامية الجامية. ثانيًا التعريف بالدكتور محمود الرضواني. ثالثًا مصطلح التصوف.

وأما المبحث الأول: فهو بعنوان (بدعة التصوف وعدم وجود دليل عليه، بعكس العلوم الأخرىٰ كالتفسير وعلومه، والحديث وعلومه وغيرهما).

وأما المبحث الثاني: فهو بعنوان (عدم معرفة هذا العلم في زمن سيدنا رسول الله ﷺ ولا زمن الصحابة رضوان الله عنهم ولا من تبعهم).

وأما المبحث الثالث: فهو بعنوان (عدم صحة الاشتقاق اللغوي لكلمة التصوف).

ثم الخاتمة وقد اشتملت علىٰ أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، وأهم التوصيات، ثم ثبت المراجع وبه أهم المراجع التي وثق بها الباحث بحثه.

التمهيد

التعريف بأهم المصطلحات الواردة بالبحث

أولًا: التيار المدخلي تاريخه ومنهجه:

هذا التيار من التيارات التي ظهرت حديثًا وهو يُسم "المداخلة أو الجامية"، وكان أول ظهور لهذا التيار "في المملكة العربية السعودية، وتحديدًا في المدينة المنوّرة علىٰ ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم، في حدود عام (١٤١١هـ : ١٤٢١هـ) الموافق (١٩٩٠م: ١٩٩١م)"[(١)].

وسبب نشأت هذه الجماعة يرجع إلىٰ الخلاف الواقع بين علماء المملكة العربية السعودية إبّان أحداث الخليج الأولىٰ، بعد أن قررت القيادة في المملكة العربية السعودية ودول الخليج الأخرىٰ الاستعانة بالقوات الأجنبية لتحرير دولة الكويت من الاحتلال العراقي، وانطلاق القواعد الحربية الجوية والبرية من الأراضي السعودية.

ذهب العلماء حينها إلىٰ قولين:

قسم يرىٰ جواز الاستعانة بهذه القوات الأجنبية لدفع المعتدي وحماية الدين والدولة، وهم هيئة كبار العلماء وقتها، برئاسة الشيخ: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ت ١٩٩٩ م مفتي المملكة السعودية.

وقسم يرىٰ عدم جواز الاستعانة بهذه القوات الأجنبية، وعلىٰ رأسهم الألباني، وسفر الحوالي، وسلمان العودة، وغيرهم.

وفي أثناء هذا الاختلاف الفقهي بين العلماء ظهرت جماعة تنادي بمشروعية الاستعانة بالقوات الأجنبية؛ بل تجريم من قالوا بعدم الجواز، فوقفت هذه الجماعة

(١) الجامية في الميزان، دراسة موضوعية نقدية من بداية ظهورهم إلىٰ وقتنا الحاضر، مشاري سعيد المطرفي، ص ٢١.

موقفًا مضادًا للعلماء، وكان علىٰ رأسها محمد أمان الجامي والشيخ ربيع بن هادي المدخلي (ت ١٤٢٢هـ)، فتحول الاختلاف من اختلاف فقهي سائغ ومعتبر، إلىٰ عداء وخصومة.

سبب تسميتهم بالمداخلة أو الجامية:

وسبب تسميتهم بالجامية هو نسبة إلىٰ الشيخ محمد أمان الجامي[١] الهرري الحبشي ولد في إثيوبيا سنة ١٣٤٩ هـ، ثم رحل من إثيوبيا إلىٰ الصومال، ثم رحل من الصومال إلىٰ اليمن، ثم استقر بمكة، أما عن مؤهلاته العلمية:

١. حصل علىٰ الثانوية من المعهد العلمي بالرياض، ٢- ثم انتسب بكلية الشريعة وحصل علىٰ شهادتها سنة ١٣٨٠هـ، ٣- ثم معادلة الماجستير في الشريعة من جامعة البنجاب عام ١٩٧٤م، ٤ - ثم الدكتوراه من دار العلوم بالقاهرة، ثم شغل عميد كلية الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، من مؤلفاته: أضواء علىٰ الطريق، الدعوة إلىٰ الإسلام، وكتاب مجموع رسائل الجامي في العقيدة والسنة، والمحاضرة الدفاعية عن السنة المحمدية، وحقيقة الديموقراطية وأنها ليست من الإسلام، وحقيقة الشورىٰ في الإسلام، والعقيدة الإسلامية وتاريخها، مات في يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر شعبان سنة ١٤١٦هـ[٢].

وسبب تسميتهم بالمداخلة: نسبة للشيخ ربيع بن هادي بن محمد عمير المدخلي، ولد سنة ١٩٣٢ م في قرية الجرادية بالسعودية، وهي من أعمال جازان بجنوب المملكة، حيث تخرج في المعهد العلمي بمدينة صامطة وفي مطلع العام ١٣٨١هـ التحق بكلية الشريعة بالرياض واستمر بها مدة شهر أو

(١) التيارات الدينية في السعودية، خالد المشوح، ص ١١٢-١١٣.
(٢) العقيدة الإسلامية وتاريخها، د. محمد بن أمان الجامي، ص ٥-٢٢ باختصار وتصرف، وقد جاءت ترجمته مطولة في صدر كتابه هذا وكتبها بعض طلابه.

شهر ونصف أو شهرين، ثم فتحت الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، فانتقل إلىٰ المدينة والتحق بالجامعة الإسلامية بكلية الشريعة ودرس بها مدة أربع سنوات وتخرج منها عام ١٣٨٤هـ بتقدير ممتاز، وبعد تخرجه عمل مدرسًا بالمعهد بالجامعة الإسلامية مدةً، ثم التحق بعد ذلك بالدراسات العليا وواصل دراسته وحصل علىٰ درجة "الماجستير" في الحديث من جامعة الملك عبدالعزيز فرع مكة عام ١٣٩٧ هـ برسالته المشهورة "بين الإمامين مسلم والدار قطني"، وفي عام ١٤٠٠ هـ حصل علىٰ الدكتوراه من جامعة الملك عبدالعزيز أيضًا بتقدير ممتاز بتحقيقه لكتاب "النكت علىٰ كتاب ابن الصلاح" للحافظ ابن حجر رحمه الله، ثم عاد بعد ذلك للجامعة يعمل بها مدرسًا بكلية الحديث الشريف، يدرِّس الحديث وعلومه بأنواعها وترأس قسم السنة بالدراسات العليا مرارًا وهو الآن برتبة "أستاذ كرسي". وله العديد من المؤلفات منها: تحقيق كتاب التوسل والوسيلة للشيخ ابن تيمية، منهج الأنبياء في الدعوة إلىٰ الله فيه الحكمة والعقل، منهج أهل السنة في نقد الرجال و الكتب و الطوائف، تقسيم الحديث إلىٰ صحيح وحسن وضعيف بين واقع المحدثين ومغالطات المتعصبين ردًا علىٰ عبدالفتاح أبو غدة ومحمد عوامه، كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها، صد عدوان الملحدين وحكم الاستعانة بغير المسلمين، مكانة أهل الحديث، منهج الإمام مسلم في ترتيب صحيحه[1]، ولهذا يُنسبُ هذا التيار لهذين الشيخين نظرًا لكونهما من أسسا هذا التيار.

(١) راجع ترجمته بموقعه الرسمي (الموقع الرسمي للعلامة الشيخ ربيع بن هادي بن عمير المدخلي) ورابطه : https://www.rabee.net/ar/sharticles.php?cat=10&id=55، والترجمة بعنوان (ترجمة موجزة للشيخ العلامة ربيع بن هادي عمير المدخلي).

منهجية التيار المدخلي:

هذا التيار سريع التقلب وفق المصلحة الشخصية، أو الرواج العصري، فتارة مع السلفية الوهابية، وأخرىٰ مع التيار الإخواني، ودليل هذا ما أعلنه الشيخ الجامي في خطبة له قائلًا فيها: "وهذه الدعوة السلفية المباركة لها آثار محلية في الديار السعودية، وهي ملموسة لمس اليد لكل من يعيش في هذا البلد مواطنًا أو وافدًا علىٰ السواء، ولها آثار خارجية ليست أقل وضوحًا من الآثار المحلية، أما الآثار المحلية؛ فيمكن أن نوجزها في فقرتين:

الفقرة الأولىٰ: ومن أبرزها وأعمها نفعًا للبلاد والعباد: قيام دولة إسلامية سلفية في قلب الجزيرة العربية (الحكومة السعودية) التي أعلنت أن دستورها القرآن الكريم، وحكمت شريعة الإسلام فعلًا، وليس مجرد دعوىٰ، وحافظت علىٰ المقدسات الإسلامية: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، التي مكنها الله في الأرض، فأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر، فمنحها الله من لتوفيق والسداد والمنعة والمهابة ما لم يمنح غيرها، فتمتع المجتمع السعودي بما لا يَتَمتعُ به أيُّ مجتمع آخر من نعمة الأمن والاستقرار والرفاهية في الحياة، كل ذلك بفضل الله تَعَالَىٰ ومنِّه وكرمه وهو المنعم المتفضل، ثم بفضل تحكيم شريعة الإسلام والتمسك بالعقيدة الإسلامية السلفية والدفاع عنها ومؤازرتها وتشجيع القائمين بها، وهو أمر ملموس لمس اليد ولا يحتاج إلىٰ دليل كما قلت،....

وبعد؛ ثم أواصل كلامي فأقول: ولم توجد في العالم المعاصر دعوة إسلامية قامت علىٰ منهجها دولة إسلامية غير دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله،... هكذا تجسدت الدعوة السلفية المباركة في قيام الدولة السعودية في قلب الجزيرة العربية؛ لتكون ملجأ لكل مسلم مضطهد في دينه في أي أرض، ولله الحمد وحده.

وأما الفقرة الثانية: من آثار الدعوة المباركة؛ فتتجسد في المنهج الدراسي

المتبع في السعودية، فقد التزمت جهات التعليم السعودية أن يكون المنهج المقرر بالنسبة للمواد الدينية هو المنهج السلفي في جميع المراحل، بدءًا من المرحلة الابتدائية، وانتهاءً إلىٰ الدراسات العليا، فالشاب السعودي يبدأ في دراسة العقيدة علىٰ المنهج السلفي من السنة الأولىٰ الابتدائية، ثم يواصل دراسة العقيدة والشريعة الإسلامية علىٰ المنهج نفسه بتوسع مطرد ومتفاوت إلىٰ درجة الدكتوراه، كما ينهج هذا المنهج نفسه الطلاب الوافدون من خارج البلاد للدراسة في الجامعات الإسلامية السعودية، ليتخرجوا علىٰ ذلك المنهج السلفي، ثم يعودوا إلىٰ بلادهم، لينذروا أقوامهم إذا رجعوا إليهم، ويدعوهم إلىٰ منهج الذي درسوه، الذي أصبح غريبًا لدي الكثيرين، وهم قد درسوه وآمنوا به، فلا يوجد في الجامعات الإسلامية السعودية ولن يوجد إن شاء الله منهج منافس يزاحم المنهج السلفي كما أشرنا سابقًا، وذلك من ثمرات جهاد ذلك الإمام السلفي المصلح الذي قَضىٰ علىٰ كل بدعة محدثة في الدين –يعني محمد بن عبدالوهاب كما ذكر في صدر كلامه عنه–، فإذًا؛ يُعتبر بحق المنهج السلفي من أعظم آثار تلك الدعوة المباركة"[1].

ثم يقرر الشيخ ربيع بن هادي المدخلي أن منهج (سيد قطب) هو عين الحق والصواب، ولا بد علىٰ الحركات الإسلامية أن تتبع منهج سيد قطب، ثم يغالي في وصف منهج (قطب) فيقول إن منهجه هو عين منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهذا نص كلامه: "رحم الله سيد قطب لقد نفذ من دراسته إلىٰ عين الحق والصواب، ويجب على الحركات الإسلامية أن تستفيد من هذا التقرير الواعي الذي انتهىٰ إليه سيد قطب عند آخر لحظة من حياته بعد دراسة طويلة واعية، لقد وصل في تقريره هذا إلى عين منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام"[2].

(١) مجموع رسائل الجامي في العقيدة والسنة، د. محمد بن أمان الجامي، ص ٧٨-٧٩.
(٢) منهج الأنبياء في الدعوة إلىٰ الله فيه الحكمة والعقل، ربيع بن هادي المدخلي، ص ١٣٩.

التف الشيخ محمد أمان الجامي حول الشيخ ربيع بن هادي المدخلي وألّف كتابًا يؤيّد فيه الحكومة السعودية في الاستعانة بالقوات الأمريكية ضد العراق، والذي كان حاكمه آنذاك الرئيس الراحل: صدام حسين، أُعدِمَ في الثلاثين من ديسمبر ٢٠٠٦م رئيس دولة العراق، وسماه: «صدّ عدوان الملحدين وحكم الاستعانة بغير المسلمين». ثم انضم إليهم بعد ذلك مجموعة من مشايخ المدينة"[١].

صفاتهم وأصولهم:

١. الطعن في العلماء والدعاة من أهل السنة، وتتبع زلاتهم وهفواتهم وأخطائهم وسقطاتهم ونشرها وتهويلها، من أجل اسقاطهم وتزهيد الناس بهم.

٢. تصنيف العلماء والدعاة من أهل السنة وتبديعهم وتفسيقهم.

٣. وضعهم أصول وقواعد للسلفية، فمن قال بها فهو منهم، ومن لم يقل بها فهو ليس منهم وليس بسلفي.

٤. اختبار وامتحان العلماء والدعاة وعامة الناس بأسماء معيّنة، فإن أجاب السائل بما يريدون فهو منهم، وهو سلفي، وإن أجاب بعكس ما يريدون فهو عندهم ليس بسلفي بل هو ضالّ ومنحرف.

٥. ادِّعاؤهم أنهم هم الجماعة السلفية الوحيدة في عصرنا الحاضر، وأن ما عداهم من الجماعات الأخرىٰ إنما هي جماعات ضالة ومنحرفة، وليست بجماعات سلفية وإن ادَّعت ذلك.

٦. ادِّعاؤهم أن علماءهم ودعاتهم هم العلماء والدعاة الوحيدون في عصرنا الحاضر الذين يسيرون علىٰ منهج السلف الصالح، وأن ما عداهم من العلماء

(١) منهج الأنبياء في الدعوة إلىٰ الله فيه الحكمة والعقل، ربيع بن هادي المدخلي، ص ١٣٩.

والدعاة، فليسوا علىٰ منهج السلف الصالح، وإن ادَّعوا ذلك؛ وإنما هم علماء ودعاة بدعة وضلالة وانحراف(١).

والسؤال هنا لماذا نسبهم الباحث لربيع بن هادي بن عمير المدخلي ولم ينسبهم إلىٰ محمد بن أمان الجامي علمًا بأن ابن أمان الجامي أكبر من الأول سنًا؟

والجواب: أن ربيع المدخلي هو مُنظِّر هذا التيار وذلك لكثرة تصانيفه وردوده علىٰ الآخر المختلف معهم منهجيًا، ولذلك قال د. مشاري سعيد المطرفي: "وفي الحقيقة أن ربيع المدخلي هو الذي أخرج الجماعة من حيّز الأفكار إلىٰ حيّز التطبيق، وهو الذي كان سببًا لانتشارها، وذلك بفضل جهوده الكبيرة في التأليف والردود، وجُرأته في تضليل وتبديع المخالف له"(٢).

ثانيًا: ترجمة د. محمود عبدالرازق الرضواني:

اسمه: محمود عبدالرازق بن عبدالرازق بن علي الرضواني ولد مطلع سنة ١٣٨٤من الهجرة الموافق ١/٣٠/ ١٩٦٤م، في قرية الكفر الجديد التابعة وقتها لمركز المنزلة، والتابعة حاليًا لمركز ميت سلسيل بمحافظة الدقهلية بجمهورية مصر العربية.

التحق بعد المرحلة الثانوية بكلية الهندسة، ووهو في الفرقة الثانية حصل علىٰ منحة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بكلية أصول الدين، وحصل علىٰ ليسانس أصول الدين سنة ١٤٠٨ هـ، ثم التحق بكلية دار العلوم بالقاهرة وحصل علىٰ الماجستير في الفلسفة الإسلامية بتاريخ ١٤١٥ هـ، عن رسالته : (القضاء والقدر عند الصوفية في القرنين الثالث والرابع الهجريين)، ثم حصل علىٰ الدكتوراه في ذات التخصص من ذات الجهة المانحة عن رسالته: (الأصول القرآنية

(١) الجامية في الميزان، د. مشاري سعيد المطرفي، ص ١٣-١٤.
(٢) الجامية في الميزان، ص ٢٩.

للمصطلح الصوفي) سنة ١٤١٨ هـ، ثم عاد للعمل كأستاذ مساعد بجامعة الملك خالد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية الشريعة وأصول الدين، ومكث بها برهة من الزمن يُدرس العقيدة هناك، حَتَّىٰ عاد لمصر واستقر بها.

من مؤلفاته: سهل في التوحيد والعقيدة، توحيد العبادة ومفهوم الإيمان، القواعد السلفية في الصفات الربانية، معجم ألفاظ الصوفية – (الأصول القرآنية للمصطلح الصوفي)، بداية الكون والإنسان، البدعة الكبرىٰ (محنة الإمام في صفة الكلام)، شروط لا إله إلا الله، علة تقسيم التوحيد بين السلف والمتكلمين، مختصر القواعد السلفية في الصفات الربانية"[١].

وبعد عودته لمصر أسس قناة البصيرة الفضائية والتي يروج لأفكاره عليها، وتارة يقدح في الأزهر وأهله، وتارة في الاعتقاد الأشعري والماتريدي، وتارة في التيارات السلفية الأخرىٰ..

والنقد لو كان بناءً علىٰ أدلة موضوعية فهذا لا يُمثل قدحًا، أم القدح من أجل القدح فهذا أمر لا يكسب صاحبه صفة العالم أبدًا ولو بلغ كلامه عنان السماء، فالعلم يُكسب صاحبه موضوعية النقد، وعفة اللسان، لا التشهير، ولا السب..

ففي مقطع له بعنوان (الأزهر هو منبع الإرهاب، هذا ما يقوله الشيخ الدكتور: محمود الرضواني)، ففي الدقيقة الأولىٰ وسبعَ عشرةَ ثانية من المقطع قال نصًا: (مصر الأزهر هي التي صدرت فكر الخوارج للعالم الإسلامي، .... لازمتكم إيه يعني الأزهر حرب علىٰ الوهابية وخلاص، والله العظيم ثالثة بالله العظيم يعني ثلاث مرات الله العظيم، إن التكفيرين الموجودين في سيناء فكرهم نابع من فكر الخوارج الذي تربىٰ في الأزهر، إذا كنا قد سكتنا بسبب مكانة الأزهر لا تهتز، وإن

(١) ترجمة طويلة بموقعه الرسمي عبر الإنترنت https://alridwany.wordpress.com/a-propos/، وقد وقعت في نحو (٤٧) صفحة علىٰ هيئة ملف (pdf)، مكتوب عليها أعدها طلابه.

المشايخ الموجودين يستفيقوا، إن الذي خرب المملكة العربية السعودية، والعقيدة السلفية اللي كان عليها مشايخ السعودية الذي خربها هو فكر الخوارج الموجود في الأزهر)[١].

ثالثًا: تعريف التصوف لغة واصطلاحًا:

١. تعريف التصوف لغة: اختلفوا في اشتقاق لفظ التصوف علىٰ أقوال كثيرة منها:

القول الأول: إن التصوف مشتق من الصوف، فقد عقد مؤرخ الصوفية الشيخ: (أبو النصر سراج الطوسي ت ٣٧٨ هـ) بابًا في كتابه اللمع سماه (باب الكشف عن اسم الصوفية، ولم سموا بهذا الاسم، ولم نسبوا إلىٰ هذه النسبة)، فجزم بأنهم نُسبوا إلىٰ ظاهر اللباس -يعني الصوف-، ولم ينسبوا إلىٰ نوع من أنواع العلوم والأحوال التي هم بها مترسمون؛ لأن لبس الصوف هو دأب الأنبياء عليهم السلام والصديقين، (وشعار المساكين) المتنسكين"[٢].

القول الثاني: إن التصوف مشتق من أهلِ الصُّفّة، وبه قال الشيخ: أبو بكر محمد بن إسحاق البخاري الكلاباذي ت ٣٨٠ هـ = ٩٩٠م فقال: "إنما سموا: صوفية. لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصُّفّة الذين كانوا علىٰ عهد رسول الله ﷺ،... ثم هذه كلها أحوال أهل الصفة الذين كانوا علىٰ عهد رسول الله ﷺ فإنهم كانوا غرباء فقراء مهاجرين أخرجوا من ديارهم وأموالهم[٣]، ووافقه القول الشيخ: محمد بن الحسين بن محمد بن موسىٰ بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو

---

(١) رابط الحلقة علىٰ اليوتيوب:
https://www.youtube.com/watch?v=3CERQiI4-V4

(٢) اللمع في التصوف، أبو النصر السراج الطوسي، تحقيق أ.د/ عبدالحليم محمود، أ. طه عبدالباقي سرور، طبعة دار الكتب الحديثة، القاهرة، سنة ١٩٦٠م، ص ٤١.

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف، أبو بكر الكلاباذي، تصحيح: أرثرجون أربري، ص ٥-٦ بتصرف.

عبدالرحمن السلمي (ت: ٤١٢ هـ) رحمه الله تعالىٰ إلىٰ أن لفظ التصوف مأخوذ من أهل الصُّفّة الذين كانوا يقيمون في آخر المسجد النبوي علىٰ عهد سيدنا رسول الله ﷺ، وكان منهم سيدنا أبو هريرة ﷺ، وكان سيدنا رسول الله ﷺ يقعد معهم ويأنس بهم[١].

القول الثالث: إن التصوف مشتق من الصفاء، وهذا قول الكلاباذي أيضًا حيث ذكر ما نصه: "قالت طائفة: إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ونقاء آثارها، وقال بشر بن الحارث الحافي ت ٢٢٧ هـ: "الصوفي من صفا قلبه لله"، وقال بعضهم: "الصوفي من صفت لله معاملته، فصفت له من الله عز وجل كرامته"[٢].

القول الرابع: إن التصوف نسبة إلىٰ قوم صوفه بن مر، وهذا القول ذكره الحافظ محمد بن طاهر بن علي المقدسي ت ٥٠٧ هـ، فقال: "كانوا في الجاهلية يقال لهم صوفه، وقد انقطعوا إلىٰ الله عز وجل، وقطنوا الكعبة، فمن تشبه بهم فهم الصوفية، وهؤلاء المعرفون بصَوفه هم ولد الغوث بن مر أخي تميم بن مر[٣].

القول الخامس: إن التصوف نسبة للصف الأول، وهذا القول ذكره الإمام شهاب الدين أبو حفص وأبو عبدالله عمر بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله السُّهْرَوَرْدِيُّ ت ٦٣٢هـ، قال: "وقيل سموا صوفية لأنهم في الصف الأول

(١) تسعة كتب في أصول التصوف والزهد (الكتاب الخامس: بيان أحوال الصوفية)، أبو عبدالرحمن السلمي، المحقق: الدكتور سليمان إبراهيم آتش، ص ٣٦٥.
(٢) التعرف لمذهب لمذهب أهل التصوف، أبو بكر الكلاباذي، تصحيح: أرثرجون أربري، ص ٥.
(٣) صفوة التصوف، ابن طاهر المقدسي، تحقيق: أحمد الشرباصي، ص ٧-٨.

بين يدي الله عز وجل بارتفاع همهم وإقبالهم علىٰ الله تَعَالَىٰ بقلوبهم ووقوفهم بسرائرهم بين يديه"[١].

القول السادس: إن التصوف نسبة لبقلة تُسمىٰ (صوفانة) وهي بغلة رعناء قصيرة لا تحتاج إلىٰ عناية، وذلك إشارة إلىٰ أن الصوفية كانوا يكتفون بالنزر اليسير من الطعام والشراب، لهذا فقد شبهوا بهذه النبئة المسماة (صوفانة)[٢].

القول السابع: إن التصوف نسبة لكلمة (سوفيا) اليونانية ومعناها محبة الحكمة، ولقد جمع هذه الأقوال د. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني (ت ١٩٩٤ م)، فقال: "وقد اختلف في اشتقاق كلمة صوفي، وقد قيل: الظاهر من هذا الاسم أنه لقب إذ لا يشهد له من جهة العربية اشتقاق، أو قياس، وقيل: هو مشتق من الصفاء..، وقيل: إنه مشتق من الصفو بمعنىٰ الصفاء أيضًا، وقيل إنه مشتق من الصف لأن الصوفية في الصف الأول أمام الله، وقيل إنه نسبة لأهل الصفة، وكانوا قومًا من فقراء المهاجرين والأنصار بنيت لهم صفة في آخر مسجد الرسول ﷺ، وكانوا يقيمون فيها وكانوا معروفين بالعبادة، وقيل إنه مشتق من الصفة، وقيل هو مشتق من اسم صوفه بن مرة أحد سدنة الكعبة في الجاهلية، وقيل من كلمة سوفيا اليونانية التي تعني الحكمة، وقيل غير هذا، ولكن الدراسة العلمية أثبتت أن هذه الوجوه كلها بعيدة أن يقال إن اشتقاق كلمة صوفي هو من الصوف"[٣].

---

(١) عوارف المعارف، شهاب الدين السهروردي، تحقيق: محمد عبدالعزيز الخالدي، ص ٤٢.

(٢) الحركة الصوفية في الإسلام، محمد علي أبو ريان، ص ١٣.

(٣) مدخل إلىٰ التصوف الإسلامي، د. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، طبعة دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٦٧٩ م، ص ٢١.

وأرجع الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسىٰ البرنسي الفاسي، المعروف بـ زروق ـ ت سنة ٨٩٩ هـ إلىٰ خمسة أقوال، فقال: "كثرت الأقوال في اشتقاق التصوف، وأمسىٰ ذلك بالحقيقة خمس:

أولها: قول من قال: (الصوفة) لأنه مع الله كالصوفة المطروحة لا تدبير له.

الثاني: إنه من (صوفة القفا) للينها، فالصوفي هيّن ليّن كهي.

الثالث: إنه من (الصِّفة) إذ جملته اتصاف بالمحامد وترك الأوصاف المذمومة.

الرابع: إنه من الصفاء وصحح هذا القول حَتَّىٰ قال أبو الفتح علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عَبْدالعَزِيز البستي ت ٤٠٠ هـ رحمه الله:

تنازع الناسُ فى الصوفى واختلفوا جهلًا وظنوه مشتقًا من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فتىً صافى فصوفى حَتَّىٰ سمى الصوفى

الخامس: إنه منقول من الصُّفة لأنّ صاحبه تابع لأهلها فيما أثبت الله لهم من الوصف حيث قال تَعَالَىٰ: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[1]. وهذا هو الأصل الذي يرجع إليه كلّ قول فيه، والله أعلم[2].

وكلها من قبيل الاجتهادات من أرباب هذا العلم، فهذه الصفات أعني – صفات أهل الصُّفةِ– لم تكن باختيارهم، وإنما لظروفهم العصيبة التي كانوا يعيشونها، كانوا يرتدون خشن الثياب، ويأكلون القليل من الطعام، ويقطنون بآخر المسجد النبوي، ونسبتها لأهل الصفة خطأ في الاشتقاق فتكون النسبة

(١) سورة الكهف: آية ٢٨.
(٢) تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذي الوصول في أمور أعمها التصوف وما فيه من وجوه التعرف المُسمىٰ اختصارًا بـ(قواعد التصوف وشواهد التعرف)، الشيخ أحمد زروق، تحقيق: نزار حمادي، ص ٢٨-٢٩.

صُفِّي، ولو كانت النسبة أيضًا للصف الأول لقلنا صَفِّي، ولو كانت نسبة للصفوة لقلنا صَفوِيٌّ، لكن اشتقاق اللفظة من الصوف أو نسبتها هو الأقرب.

ثانيًا: تعريف التصوف اصطلاحًا:

قد يُعرَفُ بِمعنىٰ الخُلُق:

سئل أَبُو مُحَمَّد أحمد بن محمد بن الحسين الجريري ت ٣١١ هـ عَنِ التصوف فَقَالَ: "الدخول فِي كُل خلق سني، والخروج من كُل خلق دني"(١).

كما عَرفه أبو بكر الكتاني مُحَمَّد بن عَليّ بن جَعْفَر الكتاني ت ٣٢٢ هـ، فقال: "التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق، فقد زاد عليك في الصفاء"(٢).

وَقَالَ الشيخ: عَبداللهِ أَحْمَد بْنُ عَجِيبَةَ ت ١٢٢٤ هـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: "التَصَوُّفُ: هُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ كَيْفِيَّةُ السُّلُوكِ إِلىٰ حَضْرَةِ مَلِكِ الْمُلُوكِ، وَتَصْفِيَةُ البَوَاطِنِ مِنَ الرَّذَائِلِ، وَتَحْلِيَتِهَا بِأَنْوَاعِ الفَضَائِلِ. وَأَوَّلُهُ عِلْمٌ، وَوَسَطُهُ عَمَلٌ، وَآخِرُهُ مَوْهِبَةٌ"(٣).

قد يُعرَفُ بِمعنىٰ الزهد:

عرفه رويم بن أحمد بن يزيد ت ٣٠٣ هـ رحمه الله تَعَالَىٰ: "استرسال النفس مع الله تَعَالىٰ علىٰ ما يريد"(٤).

---

(١) الرسالة القشيرية، عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ) تحقيق: الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور: عبدالحليم محمود، الدكتور: محمود بن الشريف، ٤٤١/٢، عوارف المعارف، شهاب الدين السهروردي، تحقيق: أ.د/ أحمد عبدالرحيم السايح، المستشار/ توفيق علي وهبة، ٦٥/١.

(٢) الرسالة القشيرية، القشيري، ٣٩٧/٢.

(٣) معراج التشوق إلىٰ حقائق التصوف، ابن عجيبة، تحقيق: عبدالمجيد خيالي، ص ٢٥-٢٦.

(٤) عوارف المعارف، السهروردي، تحقيق: أ.د/ أحمد عبدالرحيم السايح، المستشار/ توفيق علي وهبة، ٦٨/١.

وعرفه عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون ت : ٨٠٨هـ رحمه الله تَعَالَىٰ فقال: "العكوف علىٰ العبادة والانقطاع إلىٰ الله تَعَالَىٰ والإعراض عن زخرف الدّنيا وزينتها، والزّهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة "(١).

وَقَالَ أَبُو الحَسَنِ علي بن عبدالله بن عبدالجبار الشَّاذِلِيُّ ت ٦٥٦ هـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: "التَصَوُّفُ تَدْرِيبُ النَّفْسِ علىٰ العُبُودِيَّةِ، وَرَدُّهَا لِأَحْكَامِ الرُّبُوبِيَّةِ"(٢)

وعلىٰ كل فإن تعريف التصوف أكثر من أن يَحصىٰ، والملاحظ أن التعريفات كلها تدور حول الطاعة، وتنقية النفس، والتخلق بالأخلاق الكريمة.

فائدة التصوف:

إصلاح القلوب بداية، ولإفراد الله تَعَالَىٰ وحده بالعبادة دون غيره، وَيَقُولُ الشَّيْخُ أَحْمَد زَرُّوق رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: "التَّصَوُّفُ عِلْمٌ قَصَدَ لِإِصْلَاحِ القُلُوبِ، وَإِفْرَادِهَا لله تَعَالَىٰ عَمَّا سِوَاهُ. وَالفِقْهُ لِإِصْلَاحِ العَمَلِ، وَحِفْظِ النِّظَامِ، وَظُهُورِ الحِكْمَةِ بِالأَحْكَامِ. وَالأُصُولُ "عِلْمُ التَّوْحِيدِ" لِتَحْقِيقِ الْمُقَدِّمَاتِ بِالبَرَاهِينِ، وَتَحْلِيَةِ الإِيمَانِ بِالإِيقَانِ، كَالطِّبِّ لِحِفْظِ الأَبْدَانِ، وَكَالنَّحْوِ لِإِصْلَاحِ اللِّسَانِ إلىٰ غَيْرِ ذَلِكَ"(٣).

توطئـــــة:

قبل الخوض في الرد، ينبغي عرض الكلام علىٰ هيئة مجردة دون التدخل من الباحث، وتَحْسُنُ تسميتة هذا التمهيد بـ(شبهات الرضواني من خلال كتابه سهل في العقيدة عرض ونقد).

بدأ د. الرضواني شبهاته حول التصوف بقوله: "هل التصوف علم أصيل

(١) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (مقدمة ابن خلدون)، ابن خلدون، ص ٦١١.
(٢) نور التحقيق في صحة أعمال الطريق، الشيخ: حامد إبراهيم محمد صقر، ص ٩٨
(٣) قواعد التصوف، زروق، القاعدة ١١، ص ٣٥.

له دليل من النقل أم ابتداع دخيل؟

جميع العلوم الإسلامية لها أصول قرآنية أو نبوية ما عدا التصوف فهو ابتداع دخيل علىٰ الأمة الإسلامية، لأن أول ما يُطالبُ به أصحاب كل علم من العلوم الإسلامية أو كل طريقة أو مذهب ينتسب إلىٰ الأمة الإسلامية هو البحث عن الأصول التي أهلتهم للخوض في هذا المجال، أو بتعبير آخر: البحث عن أصالة علمهم وإظهار الأصول التي يعتمدون عليها من الكتاب والسنة، فمن البديهي أن العلوم الإسلامية كعلوم القرآن والحديث والفقه والمواريث والتوحيد واللغة، وغير ذلك من أنواع العلوم، لم تظهر بصورتها المتميزة في عصر النبوة أو عصر الخلافة الرشيدة، وإنما ظهرت بعد ذلك بفترة، ولكن تلك العلوم قائمة علىٰ أصول قرآنية أو نبوية تمنحها شرف الانتساب إليها، بل تستمد منهما أيضًا الإنشاء والتوسع فيها حَتَّىٰ تصل إلىٰ ما يُمكن من الكمال، فعلوم القرآن، يمكن أن ترد جميعها إلىٰ ما ورد عند الإمام البخاري عَنْ عُثْمَانَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[1]، فللمشتغلين بعلوم القرآن أن يحتجوا بمثل هذه الأحاديث على أصالة علمهم، وجودة مطلبهم، وسلامة مقصدهم، وشرف نسبتهم.

كما أن الرسول ﷺ دعا المسلمين جميعهم إلىٰ البحث في القرآن ليكون القول فيه عن علم وفهم، وحذر من الخوض فيه بالرأي والهوى، وجعل المسلم المتعلم المُعلم من خيرة الأمة وأفضلها، كل ذلك يضاف إلىٰ ما ورد في القرآن من الأمر بترتيله وتدبره، فهذه الآيات وأمثالها تدل دلالة صريحة علىٰ أصالة هذا العلم ونقاء معدنه.

وللمشتغلين بعلوم الحديث رواية ودراية أن يستندوا في فضل الحديث وعلومه إلى ما ورد عند البخاري من حديثٍ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ:

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كِتَابِ فَضَائِلِ القُرْآنِ، بَابٌ: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، ١٩٢/٦ حديث رقم ٥٠٢٨.

«بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[1].

فلفظ حدثوا فيه جواز النسبة إلىٰ علم الحديث، ورخصة إنشائه، وبذل الجهد للتوسع فيه حَتَّىٰ يصل إلىٰ الكمال الممكن.

وكما وجدنا أصولًا لعلوم القرآن والحديث يمكن أن يجد المشتغلون بالفقه والفرائض والمواريث والتوحيد واللغة أصولًا قرآنية لنسبة علومهم، والمبررات الداعية لإنشائها، وإتاحة الجهود اللازمة للتوسع فيها حَتَّىٰ تصل إلىٰ الكمال الضروري في وضع الضوابط العلمية لكل باب.

وإذا عدنا إلىٰ التصوف وعلومه، فمنذ ظهور التصوف في البيئة الإسلامية أصبح له كيان محسوس في القرنين الثاني والثالث الهجريين، والخلاف مستمر في أصل التصوف من حيث رده إلىٰ أصول إسلامية أو غير إسلامية، سواءً كانوا من أبناء الصوفية أو من غيرهم، فمنهم المنكر لنسبة التصوف إلىٰ الإسلام جملة وتفصيلًا، ومنهم المؤيد الداعي إلىٰ كونه قلب الإسلام وأصله، ومنهم المتوسط بينهما، فالمنكر يحاول نفيه وإثبات بدعيته محتجًّا بأن عصر النبوة لا تصوف فيه، ولم يعرف عن أحد من أصحاب النبي ﷺ أنه كان متصوفًا، كما أن القرآن والسنة فيهما من الحياة الروحية والأخلاق الكريمة ما يغني عن التصوف وعلوم الصوفية، والمؤيد يؤكد أن سيد الصوفية وأسوتهم هو رسول الله ﷺ ويجعله علىٰ رأس طبقاتهم، ثم خيار الصحابة والتابعين، ويحاول جاهدًا أن يرد التصوف إلىٰ نسبة محمودة أو تبرير معقول، فتارة ينسبه إلىٰ الصوف، وأُخرىٰ إلىٰ الصفاء، وثالثة إلىٰ أهل الصفة، ورابعة إلىٰ الصف الأول، وآخرون يؤكدون أنه علم، وهو اسم ظهر

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كِتَابِ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابِ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ١٧٠/٤ حديث رقم ٣٤٦١.

بلا اشتقاق أو غيره"[1].

وبعد عرض نص د. محمود الرضواني دون تدخل في تصرف النص، يتضح لنا أنه قد صدر ثلاث شبهات من خلال نصه السابق هي موضوع البحث، وقد أطال في التدليل علىٰ ذات الكلام دون جديد، لذا رأيت أن أقتصر علىٰ النص، وأفردت كل شبهة في مبحث مستقل:

الشبهة الأولىٰ: بدعة التصوف وعدم وجود دليل عليه، بعكس العلوم الأُخرىٰ كالتفسير وعلومه، والحديث وعلومه وغيرهما.

الشبهة الثانية: عدم معرفة هذا العلم في زمن سيدنا رسول الله ﷺ ولا زمن الصحابة رضوان الله عنهم ولا من تبعهم.

الشبهة الثالثة: عدم صحة الاشتقاق اللغوي لكلمة التصوف.

(١) سهل في التوحيد والعقيدة، د. محمود عبدالرازق الرضواني، ص ٥٨٦-٥٨٨.

المبحث الأول

بدعة التصوف وعدم وجود دليل عليه، بعكس العلوم الأخرىٰ كالتفسير وعلومه، والحديث وعلومه وغيرهما

وللإجابة عن الشبهة الأولىٰ التي يرىٰ فيها د. الرضواني أن التصوف كعلم لا يمت للدين بصلة، بل كل علم من العلوم له دليل يرتكن عليه، ووجاهة الدليل تكمن في صراحته دون تأويل، وهذا الكلام يُعدُّ مقبولًا طالما استند لدليل صحيح، لكن نجد أن الأدلة التي ساقها د. الرضواني لا علاقة لها بالحكم، ود. الرضواني قد أخذ عبارات الشيخ (جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي: ت ٥٩٧هـ)، وحاول أن يُعيد صياغتها فيظن القارئ أن هذا من نسج تأليفه، وهذا نص كلام (ابن الجوزي): "كانت النسبة فِي زمن رَسُول اللَّهِ ﷺ إلىٰ الإيمان والإسلام فيقال مسلم ومؤمن"(١).

وأيضًا نجد أنه قد استند لعبارة اجتزأها من سياق النص ليدلل علىٰ أن التصوف من العلوم المحدثة في الإسلام، ليخلص لنتيجة وضعها مقتصرة علىٰ مقدمة واحدة من خلال ما استخلصه من عبارة ابن خلدون وهذا نصها: "هذا العلم من العلوم الشّرعيّة الحادثة في الملّة"(٢).

وتمام العبارة عند (ابن خلدون)؛ قوله :"هذا العلم من العلوم الشّرعيّة الحادثة في الملّة وأصله أنّ طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمّة وكبارها من الصّحابة والتّابعين ومن بعدهم طريقة الحقّ والهداية وأصلها العكوف علىٰ العبادة والانقطاع إلىٰ الله تَعَالَىٰ والإعراض عن زخرف الدّنيا وزينتها، والزّهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عامّا في الصّحابة والسّلف. فلمّا فشا الإقبال علىٰ الدّنيا في القرن الثّاني وما بعده

(١) تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ص ١٤٥.
(٢) المقدمة، ابن خلدون، ص ٦١١.

وجنح النّاس إلىٰ مخالطة الدّنيا اختصّ المقبلون علىٰ العبادة باسم الصّوفيّة والمتصوّفة"[1].

وأيضًا من كان له اطلاع إلىٰ شرح الإمام ابن حجر العسقلاني علىٰ صحيح الإمام البخاري يعلم أن الحديث المذكور آنفًا عن أفضلية تعلم القرآن وتعليمه يدخل في ذلك المتقن لحفظ القرآن غير العالم بتفسيره، وهذا ما ذكره الإمام ابن حجر رحمه الله حيث قال: "نَقُولُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْخَيْرِيَّةِ مِنْ جِهَةِ حُصُولِ التَّعْلِيمِ بَعْدَ الْعِلْمِ، وَالَّذِي يُعَلِّمُ غَيْرَهُ يَحْصُلُ لَهُ النَّفْعُ الْمُتَعَدِّي، بِخِلَافِ مَنْ يَعْمَلُ فَقَطْ، بَلْ مِنْ أَشْرَفِ الْعَمَلِ تَعْلِيمُ الْغَيْرِ، فَمُعَلِّمُ غَيْرِهِ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ تَعَلَّمَهُ، وَتَعْلِيمُهُ لِغَيْرِهِ عَمَلٌ وَتَحْصِيلُ نَفْعٍ مُتَعَدٍّ، وَلَا يُقَالُ لَوْ كَانَ الْمَعْنىٰ حُصُول النَّفْعِ الْمُتَعَدِّي لَاشْتَرَكَ كُلُّ مَنْ عَلَّمَ غَيْرَهُ عِلْمًا مَا فِي ذَلِكَ، لِأَنَّا نَقُولُ الْقُرْآنُ أَشْرَفُ الْعُلُومِ، فَيَكُونُ مَنْ تَعَلَّمَهُ وَعَلَّمَهُ لِغَيْرِهِ أَشرف مِمَّن تَعلمَ غَيرَ القُرآن وَإِنْ عَلَّمَهُ فَيَثْبُتُ الْمُدَّعىٰ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْجَامِعَ بَيْنَ تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ وَتَعْلِيمِهِ مُكَمِّلٌ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ، جَامِعٌ بَيْنَ النَّفْعِ الْقَاصِرِ وَالنَّفْعِ الْمُتَعَدِّي، وَلِهَذَا كَانَ أَفْضَلَ وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ عَنَىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَىٰ اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[2]، وَالدُّعَاءُ إِلىٰ اللَّهِ يَقَعُ بِأُمُورٍ شَتَّىٰ مِنْ جُمْلَتِهَا تَعْلِيمُ الْقُرْآنِ وَهُوَ أَشْرَفُ الْجَمِيعِ وَعَكْسُهُ الْكَافِرُ الْمَانِعُ لِغَيْرِهِ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾[3]، فَإِنْ قِيلَ : فَيَلْزَمُ علىٰ هَذَا أَنْ يَكُونَ الْمُقْرِئُ أَفْضَلَ مِنَ الْفَقِيهِ قُلْنَا لَا لِأَنَّ الْمُخَاطَبِينَ بِذَلِكَ كَانُوا فُقَهَاءَ النُّفُوسِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ اللِّسَانِ فَكَانُوا يَدْرُونَ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ بِالسَّلِيقَةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَدْرِيهَا مَنْ بَعْدَهُمْ بِالِاكْتِسَابِ فَكَانَ الْفِقْهُ لَهُمْ سَجِيَّةً فَمَنْ كَانَ فِي مِثْلِ شَأْنِهِمْ شَارَكَهُمْ فِي ذَلِكَ لَا مَنْ كَانَ قَارِئًا أَوْ مُقْرِئًا مَحْضًا لَا يَفْهَمُ شَيْئًا مِنْ مَعَانِي مَا يَقْرَؤُهُ أَوْ يُقْرِئُهُ، فَإِنْ قِيلَ: فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ

(١) المقدمة، ابن خلدون، ص ٦١١.
(٢) سورة فصلت: آية ٣٣.
(٣) سورة الأنعام: آية ١٥٧.

الْمُقْرِئُ أَفْضَلَ مِمَّنْ هُوَ أَعْظَمُ غِنَاءً فِي الْإِسْلَامِ بِالْمُجَاهَدَةِ وَالرِّبَاطِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مَثَلًا، قُلْنَا : حَرْفُ الْمَسْأَلَةِ يَدُورُ علىٰ النَّفْعِ الْمُتَعَدِّي، فَمَنْ كَانَ حُصُولُهُ عِنْدَهُ أَكْثَرَ كَانَ أَفْضَلَ فَلَعَلَّ (مِنْ) مُضْمَرَةٌ فِي الْخَبَرِ وَلَا بُدَّ مَعَ ذَلِكَ مِنْ مُرَاعَاةِ الْإِخْلَاصِ فِي كُلِّ صِنْفٍ مِنْهُمْ وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْخَيْرِيَّةُ وَإِنْ أُطْلِقَتْ لَكِنَّهَا مُقَيَّدَةٌ بِنَاسٍ مَخْصُوصِينَ خُوطِبُوا بِذَلِكَ كَانَ اللَّائِقُ بِحَالِهِمْ ذَلِكَ أَوِ الْمُرَادُ خَيْرُ الْمُتَعَلِّمِينَ مَنْ يُعَلِّمُ غَيْرَهُ لَا مَنْ يَقْتَصِرُ علىٰ نَفْسِهِ أَوِ الْمُرَادُ مُرَاعَاةُ الْحَيْثِيَّةِ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ خَيْرُ الْكَلَامِ فَمُتَعَلِّمُهُ خَيْرٌ مِنْ مُتَعَلِّمِ غَيْرِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلىٰ خَيْرِيَّةِ الْقُرْآنِ"[1].

والتفسير هاهنا ليس هو مقصود الحديث كما ذكر د. الرضواني، وتبعًا لهذا الأمر أو قياسًا عليه، فإن علم مصطلح الحديث وما تفرع عنه من علم الرجال وغيره لم ينص عليه الحديث المتقدم الذي استند إليه د. الرضواني «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» [2].

والمعنىٰ هو نقل الرواية القصيرة عن سيدنا رسول الله ﷺ، وقيل المراد بالآية هنا الحكم الموحىٰ به لسيدنا رسول الله ﷺ، وهناك خلاف بين العلماء في تفسير هذا الحديث، جمع هذا الخلاف الشيخ محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ) فقال: "إِنَّ الْمُرَادَ آيَةُ الْقُرْآنِ أَيْ وَلَوْ كَانَتْ آيَةً قَصِيرَةً مِنَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مُبَلَّغٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لأنه الجائي بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيُفْهَمُ مِنْهُ تَبْلِيغُ الْحَدِيثِ بِالطَّرِيقِ الْأَوْلَىٰ فَإِنَّ الْقُرْآنَ مَعَ انْتِشَارِهِ وَكَثْرَةِ حَمَلَتِهِ وَتَكَفُّلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِحِفْظِهِ لَمَا أَمَرَنَا بِتَبْلِيغِهِ، فَالْحَدِيثُ أَوْلَىٰ.

وَالْآيَةُ مَا وُزِّعَتِ السُّورَةُ عَلَيْهَا، وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالْآيَةِ هُنَا الْكَلَامُ الْمُفِيدُ نَحْوَ مَنْ

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ٧٦/٩.
(٢) سبق تخريجه.

صَمَتَ نَجَا[1]، وَالدِّينُ النَّصِيحَةُ[2]، أَيْ بَلِّغُوا عَنِّي أَحَادِيثِي لَوْ كَانَتْ قَلِيلَةً، وَقِيلَ الْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ الْحُكْمُ الْمُوحَىٰ إِلَيْهِ ﷺ وَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الْمَتْلُوَّةِ وَغَيْرِهَا بِحُكْمِ عُمُومِ الْوَحْيِ الْجَلِيِّ وَالْخَفِيِّ، قُلْتُ : الظَّاهِرُ هُوَ الْأَوَّلُ (وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ) الحَرَجُ: الضِّيقُ وَالْإِثْمُ"[3].

والسؤال هنا قياسًا علىٰ ما ذكره د. الرضواني: هل هناك من عِلمٍ كان يُسمىٰ بعلم التوحيد أو العقيدة، في عهد سيدنا رسول الله ﷺ ولا عهد الصحابة من بعده؟!

هل هناك من عِلْمٍ كان يُسمىٰ بعلم التجويد علىٰ عهد سيدنا رسول الله ﷺ والصحابة؟!، وهل هناك من عِلْمٍ كان يُسمىٰ بعلم أصول الفقه؟!، وهل كان هناك علمًا يُسمىٰ بعلم النحو والصرف؟!

وعلىٰ ذلك فقس جميع العلوم الشرعية واللغوية..

لا شك أن د. الرضواني قد وقع في حرج عند تسرعه لإطلاق هذا الإطلاق العجيب، وبدون مقدمات برهن علىٰ صحة قوله، وهم يرون أن الجدل من الأمور المحرمة، ولا أعلم كيف سولت له نفسه أن يلقي بوابل من الجدل بُغية الوصول إلىٰ رأي ظن أنه سيظفر به.

إن العلوم التي ذكرها د. الرضواني قد استندت في الأصل إلىٰ آيات من

---

(١) الحديث مروي عَنْ سَيدنا عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ صَمَتَ نَجَا"، أخرجه الترمذي في سننه، ج ٤، ص ٦٦٠، حديث رقم ٢٥٠١، والإمام أحمد في مسنده، ج ١١، ص ١٩، حديث رقم ٦٤٨١، قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب: "رواه الترمذي، وقال: حديث غريب، والطبراني، ورواته ثقات"، ٥٣٦/٣، وقال ابن حجر في رواية الترمذي في "الفتح" ٣٠٩/١١: ورواته ثقات.

(٢) الحديث مروي عَنْ سَيدنا عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَة، ج ١، ص ٧٤، حديث رقم ٥٥.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، ٣٦٠/٧.

القرآن الكريم، وهذا مما لا ننكره، لكن كيف استقىٰ علماء هذه العلوم علومهم، وبدأوا في التنظير لها؟!

والجواب: تفرع هذا كله عن القرآن، فالقرآن بصفته كتاب مُعجزٌ لغوي في المقام الأول، تحدىٰ الله تَعَالَىٰ به أرباب الفصاحة والبلاغة أن يأتوا بمثله إن كانوا صادقين، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾(١)، ثم خفف الله عنهم التحدي أن يأتوا بعشر سور مثله فقال تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(٢)، ثم خفف الله عنهم التحدي أن يأتوا بسورة من مثله فقال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٣)، ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(٤)، وبين الله عجز الثقلين –الإنس والجن– عَلىٰ أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم، فقال تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾(٥).

فمن القرآن كان علم النحو والصرف وغيرهما، ومن أراد ضبط لسانه تعلم قراءة القرآن قراءة صحيحة، ومع ذلك لم يظهر هذا العلم في عهد سيدنا رسول الله ﷺ ولا الصحابة، وكان سبب نشأة علم النحو ضعف اللسان العربي، واللحن الذي أصبح ظاهرًا، فوضعوا لهذا العلم أسسه وذلك حماية للسان عن الخطأ في النطق، يقول ابن خلدون: "إنَّه لَمَّا فسَدت مَلَكة اللسان العربي في الحركات المُسمَّاة عند أهل النحو بالإعراب استنبطت القوانين لحفظها كما قلناه، ثم استمر ذلك الفساد إلىٰ

(١) سورة الطور: آية ٣٤.
(٢) سورة هود: آية ١٣.
(٣) سورة البقرة: آية ٢٣.
(٤) سورة يونس: آية ٣٨.
(٥) سورة الإسراء: آية ٨٨.

موضوعات الألفاظ، فاستُعمل كثيرٌ مِن كلام العرب في غير موضوعه عندهم، ميولًا مع هُجْنَة –الهجنة في الكلام: العيب والقبح– المُستَعرِبين في اصطلاحاتهم المخالِفةِ لصريح العربية، فاحتيج إلىٰ حفظ الموضوعات اللُّغوية بالكتاب والتدوين، خشيةَ الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث، فشعر كثيرٌ مِن أئمة اللسان بذلك وأملوا فيه الدواوين"(١).

فلما كان سيدنا رسول الله ﷺ بين أظهر الصحابة لم يكن الصحابة في حاجة لهذا العلم المُسمىٰ بعلم النحو، وذلك لأن المجتمع القرشي والمدني وما حولهما كانوا أرباب فصاحة وبلاغة، لكن بدأ الناس بعد ذلك ألسنتهم تميل للضعف تارة، وبدأوا في الانخراط في المجتمعات التي لم تنل حظًّا وافرًا من اللهجة الفُصحىٰ، فأُسس هذا العلم، وأولُ مَن أصَّل النحو وأعمل فكرَه فيه أبو الأسود ظالِمُ بنُ عمرٍو الدؤلي (ت ٦٩ هـ)، ونصر بن عاصم (ت ٨٩ هـ)، وعبدالرحمن بن هرمز (ت ١١٧ هـ)؛ فوضعوا للنحو أبوابًا وأصَّلوا له أصولًا، فذكروا عوامل الرفع والنصب والخفض والجزم، ووضعوا باب الفاعل والمفعول والتعجب والمضاف (٢).

ومن هنا عُرِفَ علم النحو كعلم مستقل له قواعده وضوابطه الخاصة، فذكروا له عوامل الرفع والنصب والخفض والجزم كما نصت علىٰ ذلك الفقرة المقدمة.

وَمعنىٰ أن هذا العلم لم يكن معروفًا في عهد سيدنا رسول الله ﷺ، فهل نرميه بمخالفة الشرع؟!

هذا كلام لن يُقبلَ من آحاد الناس فضلًا، عن أن يصدرَ من طبقة مثقفة، تحمل درجة علمية معترف بها!

ولو استرسلنا في الأمر قياسًا علىٰ ما ذكره د. الرضواني فإننا أيضًا نتساءل متىٰ نشأ علم التجويد؟!

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ٧٥٦.
(٢) المدارس النحوية، شوقي ضيف، ص ١١.

فنجيب بأن هذا العلم ظهر في أواخر القرن الثالث الهجري علىٰ يد الإمام العظيم أبي مزاحم الخاقاني مات سنة: ٣٢٥ هـ ألف قصيدة رائية مكوَّنة من واحد وخمسين بيتًا، وهي تعتبر أقدم نص نُظِمَ في علم التجويد(١).

وقيل إن أول من جمع القراءات ودوَّنها أبو عمر حفص بن عمر الدُّوري . ت سنة: ٢٤٦هـ، وقيل غير ذلك.

وقد اشْتُهِرَ في القرن الرابع الهجري: الحافظ أبو بكر بن مجاهد البغدادي، وهو أول من أفرد القراءات السبع في كتاب، وقد مات سنة: ٣٢٤هـ.

كما اشْتُهِرَ في القرن الخامس الهجري: الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الدَّاني، وله تصانيف كثيرة في هذا الفن، وأهمها كتاب (التيسير)، وقد توفي ببلاد الأندلس سنة: ٤٤٤هـ.

أما في القرن السادس الهجري فقد اشْتُهِرَ الإمام القاسم بن فيُّره بن خلف الشاطبي، وألَّف "حرز الأماني ووجه التهاني" المعروف بالشاطبية والتي لخَّص فيها كتاب "التيسير في القراءات السبع" وعدد أبياتها "١١٧٣" بيتًا، وتوفي بالقاهرة سنة: ٥٩٠هـ (٢).

أما علم التوحيد أو علم العقيدة فلم يكن معروفًا بهذا الاسم لا في زمن سيدنا رسول الله ﷺ ولا الصحابة ولا التابعين رضي الله عنهم، بل تناوله الإمام أبو حنيفة النعمان وقد مات سنة ١٥٠هـ في كتابه المُسمىٰ بـ(الفقه الأكبر)، ولم يسمه باسم العقيدة ولا التوحيد، ثم جاء بعده بفترة كتاب (الإيمان) للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام . مات سنة ٢٢٤ هـ، ولم يسمه أيضًا بالتوحيد ولا بالاعتقاد، ثم كتاب (الإيمان) لأبي بكر بن أبي شيبة، عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، ثم كتاب (أصول السنة) لأبي عبدالله أحمد بن

(١) غاية المريد في علم التجويد، عطية قابل نصر، ص ٢٢.
(٢) غاية المريد في علم التجويد، عطية قابل نصر، ص ٢٣.

محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، وقد ختمه بقوله: "وَمن مَاتَ من أهل الْقبْلَة موحدًا، يُصَلّي عَلَيْهِ، ويستغفر لَهُ، وَلَا يحجب عَنهُ الاسْتِغْفَار، وَلَا تتْرك الصَّلَاة عَلَيْهِ لذنب أذنبه صَغِيرًا كَانَ أَو كَبِيرًا أمره إِلىٰ الله تَعَالَىٰ"[١].

حَتَّىٰ ظهر اسم التوحيد صراحة فجاء كعنوان لكتاب بعينه هو كتاب (التوحيد) لِشَيْخِ الإِسْلاَمِ، فَقِيْه العِرَاقَين، أَبِي العَبَّاسِ، أَحْمَد بِن عُمَرَ بن سُرَيْج البَغْدَادِيّ، القَاضِي الشَّافِعِيّ، صَاحِب المُصَنَّفَات. وُلِدَ: سَنَةَ بِضْعٍ وَأَرْبَعِيْنَ وَمائَتَيْنِ، وَتُوفِّي سَنَةَ ثَلاَثٍ وَثَلاَثِ مائَةٍ [٢].

ثم ظهر كتاب (التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل) لمؤلفه: أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت: ٣١١هـ).

مَتىٰ ظهر علم مصطلح الحديث؟

وقد ظهر كعلم مستقل له أصوله وضوابطه في القرن الرابع الهجري، علىٰ يد أبي محمد الحسن بن عبدالرحمن بن خلاد الرامهرمزي الفارسي (ت: ٣٦٠هـ)، في كتابه (المحدِّث الفاصل بين الرَّاوي والواعي)[٣].

فَعلىٰ ذلك سيكون الرد المنطقي وفق ما ادعاه د. الرضواني أن جميع العلوم كلها حادثة في الإسلام وليس لها أصل، وبالتالي فالقول بردها وعدم قبولها هو الأصل الذي ليس فيه جدال، لذا كانت هذه مجازفة منه، وقوله لا دليل عليه، وما استدل به من أدلة لا تتعلق بالجواب الصحيح، عَلىٰ ما ذهب إليه من تنظير لوجود أصول لبعض العلوم الشرعية.

---

(١) أصول السنة، أحمد بن محمد بن حنبل، ص ٦٠.
(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ١٤/٢٠١-٢٠٢.
(٣) راجع: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، ابن خلاد الرامهرمزي الفارسي، المحقق: د. محمد عجاج الخطيب.

ولعل د. الرضواني قد تغافل عن أقوال أهل المدرسة السلفية في التصوف وبيان فضله، وسأسوق بعض هذه الأقوال لاثنين من أعلام هذه المدرسة:

١. الشيخ ابن تيمية = أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني ت سنة: ٧٢٨هـ، ذكر أن التصوف علم يقوم عَلىٰ الطاعة والعبادة، وأنه نشأ بالصرة، وأن أهله هم الزهاد، فيقول: "وَإِذَا عُرِفَ أَنَّ مَنْشَأَ "التَّصَوُّفِ" كَانَ مِنْ الْبَصْرَةِ وَأَنَّهُ كَانَ فِيهَا مَنْ يَسْلُكُ طَرِيقَ الْعِبَادَةِ وَالزُّهْدِ مِمَّا لَهُ فِيهِ اجْتِهَادٌ كَمَا كَانَ فِي الْكُوفَةِ مَنْ يَسْلُكُ مِنْ طَرِيقِ الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ مَا لَهُ فِيهِ اجْتِهَادٌ، وَهَؤُلَاءِ نُسِبُوا إلَىٰ اللُّبْسَةِ الظَّاهِرَةِ وَهِيَ لِبَاسُ الصُّوفِ. فَقِيلَ فِي أَحَدِهِمْ: "صُوفِيٌّ"، وَلَيْسَ طَرِيقُهُمْ مُقَيَّدًا بِلِبَاسِ الصُّوفِ وَلَا هُمْ أَوْجَبُوا ذَلِكَ وَلَا عَلَّقُوا الْأَمْرَ بِهِ، لَكِنْ أُضِيفُوا إلَيْهِ لِكَوْنِهِ ظَاهِرَ الْحَالِ. ثُمَّ "التَّصَوُّفُ": عِنْدَهُمْ لَهُ حَقَائِقُ وَأَحْوَالٌ مَعْرُوفَةٌ قَدْ تَكَلَّمُوا فِي حُدُودِهِ وَسِيرَتِهِ وَأَخْلَاقِهِ، كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ: "الصُّوفِيُّ" مَنْ صَفَا مِنْ الْكَدَرِ، وَامْتَلَأَ مِنْ الْفِكْرِ، وَاسْتَوَىٰ عِنْدَهُ الذَّهَبُ وَالْحَجَرُ[١]. التَّصَوُّفُ كِتْمَانُ الْمَعَانِي وَتَرْكُ الدَّعَاوَىٰ. وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ، وَهُمْ يَسِيرُونَ بِالصُّوفِيِّ إلَىٰ مَعْنَىٰ الصِّدِّيقِ وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ الصِّدِّيقُونَ[٢].

ثم يقرر في موضع آخر بيان أصناف الصوفية منتقدًا الطعن فيهم علىٰ العموم، والغلو الشديد في مدحهم، ويبين أنهم شأنهم شأن باقي أهل الإيمان، فمنهم السابق بالخيرات، ومنهم المقتصد، ومنهم الظالم لنفسه، فيقول: "وَلِأَجْلِ مَا وَقَعَ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ مِنْ الِاجْتِهَادِ وَالتَّنَازُعِ فِيهِ تَنَازَعَ النَّاسُ فِي طَرِيقِهِمْ؛ فَطَائِفَةٌ ذَمَّتْ "الصُّوفِيَّةَ وَالتَّصَوُّفَ"، وَقَالُوا: إنَّهُمْ مُبْتَدِعُونَ خَارِجُونَ عَنْ السُّنَّةِ وَنُقِلَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْ الْأَئِمَّةِ فِي ذَلِكَ مِنْ الْكَلَامِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ، وَتَبِعَهُمْ عَلىٰ ذَلِكَ طَوَائِفُ مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ

(١) هذا نص كلام سهل بن عبدالله التستري كما في التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذي، ص ٩.

(٢) مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية الحراني، المحقق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ١١/١٦-١٧.

وَالْكَلَامِ. وَطَائِفَةٌ غَلَتْ فِيهِمْ وَادَّعَوْا أَنَّهُمْ أَفْضَلُ الْخَلْقِ وَأَكْمَلُهُمْ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، وَكِلَا طَرَفَيْ هَذِهِ الْأُمُورِ ذَمِيمٌ. وَ"الصَّوَابُ" أَنَّهُمْ مُجْتَهِدُونَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ كَمَا اجْتَهَدَ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ طَاعَةِ اللَّهِ، فَفِيهِمْ السَّابِقُ الْمُقَرَّبُ بِحَسَبِ اجْتِهَادِهِ؛ وَفِيهِمْ الْمُقْتَصِدُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَهْلِ الْيَمِينِ(١)؛ وَفِي كُلٍّ مِنْ الصِّنْفَيْنِ مَنْ قَدْ يَجْتَهِدُ فَيُخْطِئُ، وَفِيهِمْ مَنْ يُذْنِبُ فَيَتُوبُ أَوْ لَا يَتُوبُ"(٢).

ويقرر في موضع آخر أن الصوفية الأوائل لم يبتدعوا في الدين، وأنهم عَلىٰ منهج أهل السنة والجماعة، وأنهم قدوة لغيرهم، وأنهم هم أولياء الله، وأنهم عظموا سنة رسول الله ﷺ، فهم أهل الصلاح، لذا عظم الله قدرهم، ورفع منارهم، وقد ذكر جملة من هؤلاء المشايخ فقال ما نصه: "وَفِي أَهْلِ الزَّهَادَةِ وَالْعِبَادَةِ مِنْكُمْ مَنْ لَهُ الْأَحْوَالُ الزَّكِيَّةُ، وَالطَّرِيقَةُ الْمَرْضِيَّةُ، وَلَهُ الْمُكَاشَفَاتُ وَالتَّصَرُّفَاتُ. وَفِيكُمْ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ مَنْ لَهُ لِسَانُ صِدْقٍ فِي الْعَالَمِينَ، فَإِنَّ قُدَمَاءَ الْمَشَايِخِ الَّذِينَ كَانُوا فِيكُمْ مِثْلَ: الْمُلَقَّبِ بِشَيْخِ الْإِسْلَامِ "أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَد بْنِ يُوسُفَ الْقُرَشِيِّ الْهَكَّارِيُّ ت: ٤٨٦ هـ"، وَبَعْدَهُ الشَّيْخُ الْعَارِفُ الْقُدْوَةُ: "عَدِيُّ بْنُ مُسَافِرٍ الْأُمَوِيُّ ت: ٥٥٧ هـ"، وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمَا فِيهِمْ مِنْ الْفَضْلِ وَالدِّينِ وَالصَّلَاحِ وَالِاتِّبَاعِ لِلسُّنَّةِ مَا عَظَّمَ اللَّهُ بِهِ أَقْدَارَهُمْ، وَرَفَعَ بِهِ مَنَارَهُمْ. وَالشَّيْخُ "عَدِيٌّ" – قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ – كَانَ مِنْ أَفَاضِلِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَأَكَابِرِ الْمَشَايِخِ الْمُتَّبَعِينَ، وَلَهُ مِنْ الْأَحْوَالِ الزَّكِيَّةِ وَالْمَنَاقِبِ الْعَلِيَّةِ مَا يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِذَلِكَ. وَلَهُ فِي الْأُمَّةِ صيت مَشْهُورٌ، وَلِسَانُ صِدْقٍ مَذْكُورٌ وَعَقِيدَتُهُ الْمَحْفُوظَةُ عَنْهُ لَمْ يَخْرُجْ فِيهَا عَنْ عَقِيدَةِ مَنْ تَقَدَّمَهُ مِنْ الْمَشَايِخِ الَّذِينَ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ كَالشَّيْخِ الْإِمَامِ الصَّالِحِ "أَبِي الْفَرَجِ عَبْدِالْوَاحِدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ الشِّيرَازِيِّ ثُمَّ "الدِّمَشْقِيِّ" ت: ٤٨٦ هـ، وَكَشَيْخِ الْإِسْلَامِ الهكاري" وَنَحْوِهِمَا،

(١) إشارة إلى قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (سورة فاطر: آية ٣٢).

(٢) مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية، ١٨/١١.

وَهَؤُلَاءِ الْمَشَايِخُ لَمْ يَخْرُجُوا فِي الْأُصُولِ الْكِبَارِ عَنْ أُصُولِ "أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ" بَلْ كَانَ لَهُمْ مِنْ التَّرْغِيبِ فِي أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ، الدُّعَاءِ إلَيْهَا، الْحِرْصِ عَلَىٰ نَشْرِهَا وَمُنَابَذَةِ مَنْ خَالَفَهَا، مَعَ الدِّينِ وَالْفَضْلِ وَالصَّلَاحِ: مَا رَفَعَ اللَّهُ بِهِ أَقْدَارَهُمْ، أَعْلَىٰ مَنَارَهُمْ. وَغَالِبُ مَا يَقُولُونَهُ فِي أُصُولِهَا الْكِبَارِ: جيِّدٌ؛ مَعَ أَنَّهُ لَا بُدَّ وَأَنْ يُوجَدَ فِي كَلَامِهِمْ وَكَلَامِ نُظَرَائِهِمْ مِنْ الْمَسَائِلِ الْمَرْجُوحَةِ، وَالدَّلَائِلِ الضَّعِيفَةِ؛ كَأَحَادِيثَ لَا تَثْبُتُ، وَمَقَايِيسُ لَا تَطَّرِدُ، مَعَ مَا يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْبَصِيرَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"(١).

٢. امتدح الشيخ الشاطبي = إبراهيم بن موسىٰ بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ت: ٧٩٠ هـ، التصوف وأهله فقال في الاعتصام: "وَقَدْ نَقَلْنَا عَنْ جُمْلَةٍ مِمَّنِ اشْتُهِرَ مِنْهُمْ يَنِيفُ عَلَىٰ الْأَرْبَعِينَ شَيْخًا، جَمِيعُهُمْ يُشِيرُ أَوْ يُصَرِّحُ بِأَنَّ الِابْتِدَاعَ ضَلَالٌ وَالسُّلُوكَ عَلَيْهِ تِيهٌ، وَاسْتِعْمَالُهُ رَمْيٌ فِي عَمَايَةٍ، وَأَنَّهُ مُنَافٍ لِطَلَبِ النَّجَاةِ، وَصَاحِبُهُ غَيْرُ مَحْفُوظٍ، وَمَوْكُولٌ إِلَىٰ نَفْسِهِ، وَمَطْرُودٌ عَنْ نَيْلِ الْحِكْمَةِ، وَأَنَّ الصُّوفِيَّةَ الَّذِينَ نُسِبَتْ إِلَيْهِمُ الطَّرِيقَةُ؛ مُجْمِعُونَ عَلَىٰ تَعْظِيمِ الشَّرِيعَةِ، مُقِيمُونَ عَلَىٰ مُتَابَعَةِ السُّنَّةِ، غَيْرُ مُخِلِّينَ بِشَيْءٍ مِنْ آدَابِهَا، أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ الْبِدَعِ وَأَهْلِهَا. وَلِذَلِكَ لَا نَجِدُ مِنْهُمْ مَنْ يُنْسَبُ إِلَىٰ فِرَقٍ مِنَ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ، وَلَا مَنْ يَمِيلُ إِلَىٰ خِلَافِ السُّنَّةِ. وَأَكْثَرُ مَنْ ذُكِرَ مِنْهُمْ عُلَمَاءُ وَفُقَهَاءُ وَمُحَدِّثُونَ وَمِمَّنْ يُؤْخَذُ عَنْهُ الدِّينُ أُصُولًا وَفُرُوعًا، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ فَقِيهًا فِي دِينِهِ بِمِقْدَارِ كِفَايَتِهِ. وَهُمْ كَانُوا أَهْلَ الْحَقَائِقِ وَالْمَوَاجِدِ وَالْأَذْوَاقِ وَالْأَحْوَالِ وَالْأَسْرَارِ التَّوْحِيدِيَّةِ، فَهُمُ الْحُجَّةُ لَنَا عَلَىٰ كُلِّ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَىٰ طَرِيقِهِمْ وَلَا يَجْرِي عَلَىٰ مِنْهَاجِهِمْ، بَلْ يَأْتِي بِبِدَعٍ مُحْدَثَاتٍ، وَأَهْوَاءٍ مُتَّبَعَاتٍ، وَيَنْسُبُهَا إِلَيْهِمْ، تَأْوِيلًا عَلَيْهِمْ. مِنْ قَوْلٍ مُحْتَمَلٍ، أَوْ فِعْلٍ مِنْ قَضَايَا الْأَحْوَالِ، أَوِ اسْتِمْسَاكًا بِمَصْلَحَةٍ شَهِدَ الشَّرْعُ بِإِلْغَائِهَا، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ"(٢).

(١) مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية، ٣/٣٧٦-٣٧٨.
(٢) الاعتصام، الشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، ١/١٣١-١٣٢.

وكان الشيخ الشاطبي قد عقد العزم علىٰ كتابة كتاب مستقل يبين فيه حقيقة التصوف الشرعي، ويُفند الأغاليط التي تُثارُ حول التصوف، ولكن وافته المنية قبل كتابة هذا الكتاب، وهذا نص كلامه في الاعتصام: "وَفِي غَرَضِي إِنْ فَسَحَ اللَّهُ فِي الْمُدَّةِ، وَأَعَانَنِي بِفَضْلِهِ، وَيَسَّرَ لِيَ الْأَسْبَابَ أَنْ أُلَخِّصَ فِي طَرِيقَةِ الْقَوْمِ أُنْمُوذَجًا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلىٰ صِحَّتِهَا وَجَرَيَانِهَا عَلىٰ الطَّرِيقَةِ الْمُثْلَى، وَأَنَّهُ إِنَّمَا دَاخَلَتْهَا الْمَفَاسِدُ وَتَطَرَّقَتْ إِلَيْهَا الْبِدَعُ مِنْ جِهَةِ قَوْمٍ تَأَخَّرَتْ أَزْمَانُهُمْ عَنْ عَهْدِ ذَلِكَ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَادَّعَوُا الدُّخُولَ فِيهَا مِنْ غَيْرِ سُلُوكٍ شَرْعِيٍّ، وَلَا فَهْمٍ لِمَقَاصِدِ أَهْلِهَا، وَتَقَوَّلُوا عَلَيْهِمْ مَا لَمْ يَقُولُوا بِهِ، حَتَّىٰ صَارَتْ فِي هَذَا الزَّمَانِ الْأَخِيرِ كَأَنَّهَا شَرِيعَةٌ أُخْرَىٰ غَيْرَ مَا أَتَىٰ بِهَا مُحَمَّدٌ ﷺ. وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَتَسَاهَلُونَ فِي اتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَيَرَوْنَ اخْتِرَاعَ الْعِبَادَاتِ طَرِيقًا لِلتَّعَبُّدِ صَحِيحًا، وَطَرِيقَةُ الْقَوْمِ بَرِيئَةٌ مِنْ هَذَا الْخِبَاطِ بِحَمْدِ اللَّهِ"[1].

وعَلىٰ هذا فقد أرهق د. الرضواني نفسه في نقد ما قرره وامتدحه أعلام المدرسة السلفية، ولعله قد طالع ما قررته المدرسة السلفية في الحديث عن التصوف، لكن الإنكار بالكلية، والتهجم دون دليل يُمثلُ مكابرة لا تستقيم مع المنهجية العلمية الصحيحة.

(١) الاعتصام، الشاطبي، ١/١٢٠-١٢١.

المبحث الثاني

عدم معرفة هذا العلم في زمن سيدنا رسول الله ﷺ ولا زمن الصحابة رضوان الله عنهم ولا من تبعهم

وهذا الأمر يحتاج إلىٰ تدقيق قبل إطلاق عنان الجواب، فلو عُدنا للسطور الماضية في الحديث عن نشأة العلوم السابقة لاتضح لنا أن جُل العلوم قد ظهر بعد القرون الثلاثة الأولىٰ، كما دللنا علىٰ ذلك، لكن لماذا هذه العلوم تأخرت هكذا ولم تكن علىٰ عهد سيدنا رسول الله ﷺ ولا الصحابة رضوان الله عنهم، ولماذا التصوف أيضًا لم يكن معروفًا بهذا الاسم علىٰ عهد سيدنا رسول الله ﷺ ولا الصحابة رضوان الله عنهم؟!

والجواب: إن هذه العلوم سالفة الذكر لم تكن موجودة بمسمياتها علىٰ عهد سيدنا النبي ﷺ، ولا الصحابة رضوان الله عنهم، وذلك لعدم حاجة الصحابة رضوان الله عنهم لنحو هذه العلوم وبين أظهرهم سيدنا رسول الله ﷺ.

ويمكن أن تُردَ شبهة د. الرضواني من خلال ما يلي:

١. أن الصحابة رضي عنهم ومن تبعهم كانوا أرباب مجاهدة وزهد وكانوا يُكثرون من الطاعة والعبادة وهذه أصول التصوف كما أسلفنا في بيان معناه وغايته، وكما هو معلوم أن العرب كانوا قديمًا يقرضون الشعر ببراعة دون معرفة ببحور الشعر وأوزانها، ولم يكن هناك من علم وَقْتئذٍ اسمه (العروض)[1]، وكانوا يتحدثون العربية بطلاقة دون معرفة بنحوها ولا صرفها.

---

(١) العروض: هو العلم الذي يُبحثُ فيه عن أصول وقواعد أوزان الشعر العربي، ويعرف أيضًا بـ(ميزان الشاعر)، و(ميزان الشعر)، وبـ(علم أوزان الشعر)، وموضوعه: يدرس علم العروض: التفعيلة، والبيت، تعريفهما وأجزاءهما وأقسامهما وعوارضهما، وفائدته: القدرة علىٰ قول الشعر، وفي نقد النتاج الشعري، وفي تحقيق النصوص الشعرية وتقويمها، والتفرقة بين الشعر وغيره من أنواع الكلام وفنونه. راجع: تلخيص العروض، د. عبدالهادي الفضلي، ص ١١.

٢. أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يلازمون سيدنا رسول الله ﷺ، وبالتالي فكان يعلمهم الزهد والورع، وقد علم الصحابة رضي الله عنهم من جاء بعدهم، وقد دون التصوف كغيره من العلوم بعد ظهور تدوين العلوم كما بينا آنفًا.

٣. أن العبرة ليست في تاريخ ظهورعلم من العلوم، وإنما العبرة في موافقته للقرآن والسنة أو مخالفته، وبيان الغاية منه.

وقد أجاب عن شبهته هذه الشيخ سراج الدين الطوسي فقال: "إن سأل سائل فقال: "لم نسمع بذكر الصوفية في أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم أجمعين، ولا فيمن كان بعدهم، ولا نعرف إلا العبّاد والزُّهاد والسيَّاحين والفقراء، وما قيل لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ: صوفي، فنقول وبالله التوفيق.

الصحبة مع رسول الله ﷺ لها حرمة، وتخصيص من شمله ذلك، فلا يجوز أن يعلق عليه اسم علىٰ أنه أشرف من الصحبة، وذلك لشرف رسول الله ﷺ وحرمته، ألا ترىٰ أنهم أئمة الزهاد والعباد والمتوكلين والفقراء والراضين والصابرين الْمُخْبِتِينَ، وغير ذلك، وما نالوا جميع ما نالوا إلا ببركة الصحبة مع رسول الله ﷺ، فلما نسبوا إلىٰ الصحبة والتي هي أجل الأحوال استحال أن يفضلوا بفضيلة غير الصحبة التي هي أجل الأحوال وبالله التوفيق.

وأما قول القائل: إنه اسم محدث أحدثه البغداديون، فمحال؛ لأن في وقت الحسن البصري رحمه الله كان يعرف هذا الاسم، وكان الحسن قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم، وقد رُوي عنه أنه قال: رأيت صوفيًا في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذه وقال: معي أربعة دوانيق يكفيني ما معي.

وروي عن سفيان الثوري ت: ١٦١ هـ رحمه الله أنه قال: لولا أبو هاشم الصوفي ت: ١٥٠هـ ما عرفت دقيق الرياء، وقد ذكر الكتاب الذي جُمع فيه أخبار مكة عن محمد بن إسحاق بن يسار ت: ١٥١ هـ، وعن غيره يذكر فيه حديثًا: أنه

قبل الإسلام قد خلت مكة في وقت من الأوقات، حَتَّىٰ كان لا يطوف بالبيت أحد، وكان يجيء من بلد بعيد رجل صوفي فيطوف بالبيت وينصرف، فإن صح ذلك فإنه يدل علىٰ أنه قبل الإسلام كان يعرف هذا الاسم، وكان يُنسب إليه أهل الفضل والصلاح، والله أعلم"(١).

وقد أجاب أحد أعلام الصوفية في العصر الحديث وهو د. أَحْمَد عَلْوَشْ، فقال: "قَدْ يَتَسَاءَلُ الكَثِيرُونَ عَنِ السَّبَبِ في عَدَمِ انْتِشَارِ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ التَّصَوُّفِ في صَدْرِ الإِسْلَامِ، وَعَدَمِ ظُهُورِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ إِلَّا بَعْدَ عَهْدِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَالجَوَابُ عَنْ هَذَا: إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ مِنْ حَاجَةٍ إِلَيْهَا في العَصْرِ الأَوَّلِ، لِأَنَّ أَهْلَ هَذَا العَصْرِ كَانُوا أَهْلَ تَقْوَىٰ وَوَرَعٍ، وَأَرْبَابَ مُجَاهَدَةٍ وَإِقْبَالٍ عَلَىٰ العِبَادَةِ بِطَبِيعَتِهِمْ، وَبِحُكْمِ قُرْبِ اتِّصَالِهِمْ بِرَسُولُ اللهِ ﷺ، فَكَانُوا يَتَسَابَقُونَ وَيَتَبَارُونَ في الاقْتِدَاءِ بِهِ في ذَلِكَ كُلِّهِ، فَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ مَا يَدْعُو إِلَىٰ تَلْقِينِهِمْ عِلْمًا يُرْشِدُهُمْ إِلَىٰ أَمْرٍ هُمْ قَائِمُونَ بِهِ فِعْلًا، وَإِنَّمَا مَثَلُهُمْ في ذَلِكَ كُلِّهِ كَمَثَلِ العَرَبِيِّ القُحِّ، يَعْرِفُ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ بِالتَّوَارُثِ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَقْرِضُ الشِّعْرَ البَلِيغَ بِالسَّلِيقَةِ وَالفِطْرَةِ، دُونَ أَنْ يَعْرِفَ شَيْئًا مِنْ قَوَاعِدِ اللُّغَةِ وَالإِعْرَابِ وَالنَّظْمِ وَالقَرِيضِ، فَمِثْلُ هَذَا لَا يَلْزَمُهُ أَنْ يَتَعَلَّمَ النَّحْوَ وَدُرُوسَ البَلَاغَةِ، وَلَكِنْ عِلْمُ النَّحْوِ وَقَوَاعِدُ اللُّغَةِ وَالشِّعْرِ تُصْبِحُ لَازِمَةً وَضَرُورِيَّةً عِنْدَ تَفَشِّي اللَّحْنِ، وَضَعْفِ التَّعْبِيرِ، أَو لِمَنْ يُرِيدُ مِنَ الأَجَانِبِ أَنْ يَتَفَهَّمَهَا وَيَتَعَرَّفَ عَلَيْهَا، أَو عِنْدَمَا يُصْبِحُ هَذَا العِلْمُ ضَرُورَةً مِنْ ضَرُورَاتِ الاجْتِمَاعِ كَبَقِيَّةِ العُلُومِ التي نَشَأَتْ وَتَأَلَّفَتْ عَلَىٰ تَوَالِي العُصُورِ في أَوْقَاتِهَا المُنَاسِبَةِ. فَالصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ . وَإِنْ لَمْ يَتَسَمَّوْا بِاسْمِ المُتَصَوِّفِينَ . كَانُوا صُوفِيِّينَ فِعْلًا وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا كَذَلِكَ اسْمًا. وَمَاذَا يُرَادُ بِالتَّصَوُّفِ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَعِيشَ المَرْءُ لِرَبِّهِ لَا لِنَفْسِهِ، وَيَتَحَلَّىٰ بِالزُّهْدِ وَمُلَازَمَةِ العُبُودِيَّةِ، وَالإِقْبَالِ عَلَىٰ اللهِ بِالرُّوحِ وَالقَلْبِ في جَمِيعِ الأَوْقَاتِ، وَسَائِرِ الكَمَالَاتِ التي وَصَلَ بِهَا الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ مِنْ حَيْثُ الرُّقِيُّ الرُّوحِيُّ إِلَىٰ أَسْمَىٰ الدَّرَجَاتِ فَهُمْ لَمْ يَكْتَفُوا

(١) اللمع، الطوسي، ص ٤٢-٤٣، عوارف المعارف، السهروردي، ص ٤٣-٤٤.

بِالإِقْرَارِ في عَقَائِدِ الإِيمَانِ، وَالقِيَامِ بِفُرُوضِ الإِسْلَامِ، بَلْ قَرَنُوا الإِقْرَارَ بِالتَّذَوُّقِ وَالوُجْدَانِ، وَزَادُوا عَلَىٰ الفُرُوضِ الإِتْيَانَ بِكُلِّ مَا اسْتَحَبَّهُ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ نَوَافِلِ العِبَادَاتِ، وَابْتَعَدُوا عَنِ المَكْرُوهَاتِ فَضْلًا عَنِ المُحَرَّمَاتِ، حَتَّىٰ اسْتَنَارَتْ بَصَائِرُهُمْ، وَتَفَجَّرَتْ يَنَابِيعُ الحِكْمَةِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَفَاضَتِ الأَسْرَارُ الرَّبَّانِيَّةُ عَلَىٰ جَوَانِحِهِمْ؛ وَكَذَلِكَ كَانَ شَأْنُ التَّابِعِينَ وَتَابِعِي التَّابِعِينَ، وَهَذِهِ العُصُورُ الثَّلَاثَةُ كَانَتْ أَزْهَىٰ عُصُورِ الإِسْلَامِ وَخَيْرَهَا عَلَىٰ الإِطْلَاقِ، وَقَدْ جَاءَ عَنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ قوله: «خَيْرُ القُرُونِ قَرْنِي هَذَا فَالذي يَلِيهِ وَالذي يَلِيهِ»"[1].

فَلَمَّا تَقَادَمَ العَهْدُ، وَدَخَلَ في حَظِيرَةِ الإِسْلَامِ أُمَمٌ شَتَّىٰ، وَأَجْنَاسٌ عَدِيدَةٌ، وَاتَّسَعَتْ دَائِرَةُ العُلُومِ، وَتَقَسَّمَتْ وَتَوَزَّعَتْ بَيْنَ أَرْبَابِ الاخْتِصَاصِ قَامَ كُلُّ فَرِيقٍ بِتَدْوِينِ الفَنِّ وَالعِلْمِ الذي يُجِيدُهُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ، فَنَشَأَ . بَعْدَ تَدْوِينِ النَّحْوِ في الصَّدْرِ الأَوَّلِ . عِلْمُ الفِقْهِ، وَعِلْمُ التَّوْحِيدِ، وَعُلُومُ الحَدِيثِ، وَأُصُولُ الدِّينِ، وَالتَّفْسِيرُ، وَالمَنْطِقُ، وَمُصْطَلَحُ الحَدِيثِ، وَعِلْمُ الأُصُولِ، وَالفَرَائِضُ "المِيرَاثُ" وَغَيْرُهَا..

وَحَدَثَ بَعْدَ هَذِهِ الفَتْرَةِ أَنْ أَخَذَ التَّأْثِيرُ الرُّوحِيُّ يَتَضَاءَلُ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَأَخَذَ النَّاسُ يَتَنَاسَوْنَ ضَرُورَةَ الإِقْبَالِ عَلَىٰ اللهِ بِالعُبُودِيَّةِ، وَبِالقَلْبِ وَالهِمَّةِ، مِمَّا دَعَا أَرْبَابَ الرِّيَاضَةِ وَالزُّهْدِ إِلَىٰ أَنْ يَعْمَلُوا هُمْ مِنْ نَاحِيَتِهِمْ أَيْضًا عَلَىٰ تَدْوِينِ عِلْمِ التَّصَوُّفِ وَإِثْبَاتِ شَرَفِهِ وَجَلَالِهِ وَفَضْلِهِ عَلَىٰ سَائِرِ العُلُومِ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُمُ احْتِجَاجًا عَلَىٰ انْصِرَافِ الطَّوَائِفِ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ تَدْوِينِ عُلُومِهِمْ ـ كَمَا يَظُنُّ ذَلِكَ خطئًا بَعْضُ المُسْتَشْرِقِينَ ـ بَلْ كَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ سَدًّا للنَّقْصِ، وَاسْتِكْمَالًا لِحَاجَاتِ الدِّينِ في

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، فِي كِتابِ أصحابِ النبي ﷺ، فِي بابِ فضائل أصحاب النبي ﷺ، ج ٥، ص ٣، حديث رقم ٣٦٥١، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ، فِي بَابِ فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ج ٤، ص ١٩٦٢، رقم ٢٥٣٣، والحديث مروي عَنْ سيدنا عَبْدِاللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه.

جَمِيعِ نَوَاحِي النَّشَاطِ، مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ لِحُصُولِ التَّعَاوُنِ عَلَىٰ تَمْهِيدِ أَسْبَابِ البِرِّ وَالتَّقْوَىٰ.

وَقَدْ بَنَىٰ أَئِمَّةُ الصُّوفِيَّةِ الأَوَّلُونَ أُصُولَ طَرِيقَتِهِمْ عَلَىٰ مَا ثَبَتَ في تَارِيخِ الإِسْلَامِ نَقْلًا عَنِ الثِّقَاتِ الأَعْلَامِ"(١).

وبالتالي فإن د. الرضواني لم يأت بجديد، فهذه شبهات سبق الرد عليها قديمًا وحديثًا، والعبرة بالغاية كما ذكرنا، بل لقد ذكر السهروردي أن التصوف لم يكن في زمن سيدنا رسول الله ﷺ، وقيل كان في زمن التابعين، ثم نقل عن الحسن البصري، وما نقلناه عن الطوسي أيضًا، وقيل: لم يعرف هذا الاسم إلىٰ المائتين من الهجرة العربية(٢)، وَعلىٰ ذلك فإن هذا الأمر لا يُقللُ من هذا العلم ومكانته، ولا يطعن هذا في حق هذا العلم الشريف.

أضف إلىٰ ذلك أن التصوف في حقيقته يراد به الزهد، وكان سيدنا رسول الله ﷺ سيد الزهاد، وقد رغَّبَ في ذلك في كثير من الأحاديث الصحيحة نذكر منها علىٰ سبيل المثال:

١. عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ السيدةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: ابْنَ أُخْتِي «إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلىٰ الهِلَالِ، ثُمَّ الهِلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ»، فَقُلْتُ يَا خَالَةُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: " الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ، كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهِمْ، فَيَسْقِينَا"(٣).

---

(١) التصوف من الوجهة التاريخية (بحث)، د. أحمد علوش، وراجع: حقائق عن التصوف، الشيخ: عبدالقادر عيسىٰ، ص ٢٢-٢٤.
(٢) عوارف المعارف، السهروردي، بتحقيق: محمد عبدالعزيز الخالدي، ص ٤٣.
(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كِتَابِ الهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا، ج ٣، ص ١٥٣، حديث رقم ٢٥٦٧، وأخرجه أيضًا الإمام البخاري في صحيحه، كِتَابِ الرِّقَاقِ، بَابٌ: كَيْفَ كَانَ عَيْشُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَتَخَلِّيهِمْ مِنَ الدُّنْيَا، ج ٨، ص ٩٧ –

والمعنىٰ: "(وما أوقدت): كناية عن طبخ شيء من اللحم أو سواه، (يعيشكم) يقيتكم من الطعام. (الأسودان): غلب التمر علىٰ الماء فقيل: أسودان، وكان الغالب في تمر المدينة الأسود. (منائح): جمع منيحة وهي الشاة أو الناقة التي تعطي للغير ليحلبها وينتفع بلبنها ثم يردها علىٰ صاحبها وقد تكون عطية مؤبدة بعينها ومنافعها كالهبة. (يمنحون): من المنح وهو العطاء"(١).

٢. عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ، فَقَالَ: «أَنَا نَازِلٌ». ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ المِعْوَلَ فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ، أَوْ أَهْيَمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي إِلىٰ البَيْتِ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ، فَذَبَحَتِ العَنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ حَتَّىٰ جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي البُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ، وَالبُرْمَةُ بَيْنَ الأَثَافِيِّ قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلاَنِ، قَالَ: «كَمْ هُوَ» فَذَكَرْتُ لَهُ، قَالَ: "كَثِيرٌ طَيِّبٌ، قَالَ: قُلْ لَهَا: لاَ تَنْزِعِ البُرْمَةَ، وَلاَ الخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّىٰ آتِيَ، فَقَالَ: قُومُوا "فَقَامَ المُهَاجِرُونَ، وَالأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ علىٰ امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكِ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «ادْخُلُوا وَلاَ تَضَاغَطُوا» فَجَعَلَ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ البُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلىٰ أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَغْرِفُ حَتَّىٰ شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: «كُلِي هَذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ

٩٨، حديث رقم ٦٤٥٩، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كِتَابِ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، ج ٤، ص ٢٢٨٣، حديث رقم ٢٩٧٢.

(١) انظر شرح وتعليق د. مصطفىٰ ديب البغا؛ علىٰ صحيح الإمام البخاري، ج ٣، ص ١٥٣، حديث رقم ٢٥٦٧.

أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ» [1].

والمعنىٰ: "(كدية) قطعة صلبة من الأرض لا يؤثر فيها المعول. (معصوب): مربوط من شدة الجوع. (كثيبًا): تفتتت حَتَّىٰ صارت كالرمل. (أهيل): ينهال فيتساقط من جوانبه ويسيل من لينه. (أهيم): بِمعنىٰ أهيل. (لامرأتي): هي سهلة بنت مسعود بن أوس الظفرية الأنصارية رضي الله عنها. (شيئًا): أي من الجوع. (ما كان في ذلك صبر): أي فهو مما لا يحتمل أو لم يبق لدي الصبر أن أرىٰ ما في رسول الله ﷺ وأتركه هكذا. (عناق): الأُنثىٰ من ولد المعز. (البرمة): القدر. (قد انكسر): لان وتمكن فيه الخمير. (الأثافي): جمع الأثفية، وهي الحجارة التي تنصب وتوضع عليها القدر. (طعيم): مصغر طعام وصغره لقلته. (تضاغطوا): تزدحموا. (يخمر): يغطي"[2].

فسيدنا رسول الله ﷺ لم يتطرق إليه داء العجب ولا الكبر؛ وإنما كان يقدم الطعام بنفسه، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم، ويخمّر البرمة والتنور، يأخذ من الطعام ويقرب إلىٰ أصحابه ثم ينزع، فلم يزل يكسر ويغرف حَتَّىٰ شبعوا.

٣. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا»[3].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كِتَابِ المَغَازِي، بَابِ غَزْوَةِ الخَنْدَقِ وَهِيَ الأَحْزَابُ، ج ٥، ص ١٠٨، حديث رقم ٤١٠١ واللفظ له، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كِتَابِ الْأَشْرِبَةِ، بَابِ جَوَازِ اسْتِتْبَاعِهِ غَيْرَهُ إِلىٰ دَارِ مَنْ يَثِقُ بِرِضَاهُ بِذَلِكَ، وَبِتَحَقُّقِهِ تَحَقُّقًا تَامًّا، وَاسْتِحْبَابِ الِاجْتِمَاعِ علىٰ الطَّعَامِ، ج ٣، ص ١٦١٠ - ١٦١١، حديث رقم ٢٠٣٩.

(٢) انظر شرح وتعليق د. مصطفىٰ ديب البغا؛ علىٰ صحيح الإمام البخاري، ج ٥، ص ١٠٨، حديث رقم ٤١٠١.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كِتَابِ الرِّقَاقِ، بَابٌ: كَيْفَ كَانَ عَيْشُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَتَخَلِّيهِمْ مِنَ الدُّنْيَا، ج ٨، ص ٩٨، حديث رقم ٦٤٦٠، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كِتَابِ الزَّكَاةِ، بَابٌ فِي الْكَفَافِ وَالْقَنَاعَةِ، ج ٢، ص ٧٣٠، حديث رقم ١٠٥٥.

قال الإمام أبو زكريا محيي الدين يَحيىٰ بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ): "قَوْلُهُ ﷺ (اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا) قال أهل اللغة العربية: الْقُوتُ مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ، وَفِيهِ فَضِيلَةُ التَّقَلُّلِ مِنَ الدُّنْيَا وَالِاقْتِصَارِ علىٰ الْقُوتِ مِنْهَا وَالدُّعَاءِ بذلك"(١).

قال الإمام ابن حجر العسقلاني في (الفتح): "فِيهِ دَلِيلٌ علىٰ فَضْلِ الْكَفَافِ، وَأَخْذِ الْبُلْغَةِ مِنَ الدُّنْيَا وَالزُّهْدِ فِيمَا فَوْقَ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي تَوَفُّرِ نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَإِيثَارًا لِمَا يَبْقَىٰ علىٰ مَا يَفْنَىٰ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَقْتَدِيَ بِهِ أُمَّتُهُ فِي ذَلِكَ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: مَعْنَىٰ الْحَدِيثِ أَنَّهُ طَلَبَ الْكَفَافَ؛ فَإِنَّ الْقُوتَ مَا يَقُوتُ الْبَدَنَ، وَيَكُفُّ عَنِ الْحَاجَةِ، وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ سَلَامَةٌ مِنْ آفَاتِ الْغِنَىٰ وَالْفَقْرِ جَمِيعًا وَالله اعْلَم"(٢).

٤. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺمِنْ طَعَامٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّىٰ قُبِضَ»(٣).

وهذا يدل علىٰ قلة الطعام أو ما يقتتات به في بيت سيدنا رسول الله ﷺ، وأيضًا إيثار سيدنا رسول الله ﷺغيره من الفقراء، يقول الإمام أبو محمد محمود بن أحمد بن مُوسىٰ بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ): "(مَا شبع آل مُحَمَّد)، آل النَّبِي، ﷺ، أَهله الأدنون وعشيرته الأقربون. قَوْله: (ثَلَاثَة أَيَّام)، أَي: مُتَوَالِيَات، وَفِي رِوَايَة مُسلم: ثَلَاث لَيَال، وَيُؤْخَذ مِنْهُ أَن المُرَاد بِالْأَيَّامِ هُنَا بلياليها كَمَا أَن المُرَاد بالليالي هُنَاكَ بأيامها وَفِي رِوَايَة لمُسلم وَالتِّرْمِذِيّ(٤)، من طَرِيق الْأسود عَن عَائِشَة: مَا شبع من خبز شعير يَوْمَيْنِ

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ١٤٦/٧.
(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٢٩٣/١١.
(٣) أخرجه الإمام لبخاري في صحيحه، كِتَابِ الأَطْعِمَةِ، بَابِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ٥٧]، وَقَوْلِهِ: ﴿أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وَقَوْلِهِ: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، ج ٧، ص ٦٧ - ٦٨، حديث رقم ٥٣٧٤، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كِتَابِ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، ج ٤، ص ٢٢٨١، حديث رقم ٢٩٧٠.
(٤) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، أَبْوَابِ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابِ مَا جَاءَ فِي مَعِيشَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَهْلِهِ، ج ٤، ص ٥٧٩، حديث رقم ٢٣٥٧، ونص روايته: "عَنْ الأَسْوَدِ

مُتَتَابعين. قَالَ بَعضهم: وَالَّذِي يظْهر أَن سَبَب عدم شبعهم غَالِبًا كَانَ بِسَبَب قلَّة الشَّيْء عِنْدهم. قلت: لم يكن ذَلِك إلاَّ لإيثارهم الْغَيْر، أَو لِأَن الشِّبَع مَذْمُوم"[1].

٥. عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِاللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺضَعِيفًا، أَعْرِفُ فِيهِ الجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا لَهَا، فَلَفَّتِ الخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ ثَوْبِي، وَرَدَّتْنِي بِبَعْضِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي المَسْجِدِ وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «بِطَعَامٍ؟» قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: «قُومُوا» فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، حَتَّىٰ جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مِنَ الطَّعَامِ مَا نُطْعِمُهُمْ، فَقَالَتْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّىٰ لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ أَبُو طَلْحَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ ح حَتَّىٰ دَخَلاَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا عِنْدَكِ» فَأَتَتْ بِذَلِكَ الخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً لَهَا فَأَدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّىٰ شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّىٰ شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّىٰ شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ أَذِنَ لِعَشَرَةٍ فَأَكَلَ القَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالقَوْمُ ثَمَانُونَ رَجُلًا"[2].

بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أُمِ المُؤمِنينَ السيدة عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «مَا شَبِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّىٰ قُبِضَ»: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» وَفِي البَاب عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، ٢٧/٢١.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كِتَابِ الأَطْعِمَةِ، بَابِ مَنْ أَكَلَ حَتَّىٰ شَبِعَ، ج ٧، ص ٦٩، حديث رقم ٥٣٨١، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كِتَابِ الْأَشْرِبَةِ، بَابِ جَوَازِ اسْتِتْبَاعِهِ غَيْرَهُ إِلىٰ دَارِ مَنْ يَثِقُ بِرِضَاهُ بِذَلِكَ، وَبِتَحَقُّقِهِ تَحَقُّقًا تَامًّا، وَاسْتِحْبَابِ الِاجْتِمَاعِ علىٰ الطَّعَامِ، ج ٣، ص ١٦١٢، حديث رقم ٢٠٤٠.

وهذه بعض معاني المفردات: "(وَرَدَّتْنِي): أي جعلت بعضه رداءً علىٰ رأسي. (عكة): هو وعاء صغير من جلد للسمن خاصة. (فأدمته): هو بالمد والقصر لغتان آدمته وأدمته أي جعلت فيه إدامًا. (ائذن لعشرة): إنما أذن لعشرة عشرة ليكون أرفق بهم فإن القصعة التي فت فيها تلك الأقراص لا يتحلق عليها أكثر من عشرة إلا بضرر يلحقهم لبعدها عنهم"(١).

نجد أن هذا الحديث يفصح لنا عن شدة الحياة التي كان يعيشها سيدنا رسول الله ﷺ لدرجة أن صوته قد بدا ضعيفًا من شدة الجوع، فيرق قلب الصحابي لصوت سيدنا رسول الله ﷺ ويهرول لزوجته يبحث عن طعام يقتات به سيدنا رسول الله ﷺ.

فقد كانت حياة الأنبياء زهدًا، فمن قبل سيدنا رسول الله ﷺ كان سيدنا عِيسىٰ المسيح ابن مريم عليهما السلام، جاء في الكتاب المقدس:

١. فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَخِيرًا"(٢).

٢. "كَانَ يُقْتَادُ بِالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْماً يُجَرَّبُ مِنْ إِبْلِيسَ. وَلَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَلَمَّا تَمَّتْ جَاعَ أَخِيرًا"(٣).

٣. "وَكَانَتْ هُنَاكَ بِئْرُ يَعْقُوبَ. فَإِذْ كَانَ يَسُوعُ قَدْ تَعِبَ مِنَ السَّفَرِ، جَلَسَ هكَذَا علىٰ الْبِئْرِ، وَكَانَ نَحْوَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ"(٤).

٤. "فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ السَّامِرَةِ لِتَسْتَقِيَ مَاءً، فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: أَعْطِينِي لأَشْرَبَ"(٥).

ولذا قال (ابن خلدون): "هذا العلم من العلوم الشّرعيّة الحادثة في الملّة وأصله

(١) راجع شرح وتعليق الشيخ. محمد فؤاد عبدالباقي؛ علىٰ صحيح الإمام مسلم، ج ٣، ص ١٦١٢، حديث رقم ٢٠٤٠.
(٢) مَتىٰ: ٤:٢.
(٣) لوقا: ٤:٢.
(٤) يوحنا: ٤:٦.
(٥) مَتىٰ: ٤:٧.

أنّ طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمّة وكبارها من الصّحابة والتّابعين ومن بعدهم طريقة الحقّ والهداية، وأصلها العكوف علىٰ العبادة والانقطاع إلىٰ الله تعالىٰ والإعراض عن زخرف الدّنيا وزينتها، والزّهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عامّا في الصّحابة والسّلف. فلمّا فشا الإقبال علىٰ الدّنيا في القرن الثّاني وما بعده وجنح النّاس إلىٰ مخالطة الدّنيا اختصّ المقبلون علىٰ العبادة باسم الصّوفيّة والمتصوّفة"[1].

فشهادة (ابن خلدون) التي يستدل بها د. الرضواني وغيره علىٰ بدعية التصوف وكونه حادثًا في الإسلام؛ هي شهادة مردودة عليهم، فكما هو معلوم أن المقصود بالحدوث الإيجاد والاختراع، وليس مقصود اللفظة هنا البدعية، وإلا لكان التعميم علىٰ جميع العلوم دون استثناء، وتغافل أصحاب الشبهات عن قول (ابن خلدون):

١. قول ابن خلدون: "هذا العلم من العلوم الشّرعيّة"، فلم يقل من العلوم المبتدعة، وإنما يقصد بقوله من العلوم الحادثة في الملة أي التي نشأت بعد سيدنا رسول الله ﷺ، فلم يكن معروفًا باسمه في العصر النبوي ولا عصر الصحابة رضوان الله عنهم، وإن كان موافقًا للشرع كما قال: "...العلوم الشرعية".

٢. قول ابن خلدون: "وأصله –يقصد التصوف– أنّ طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمّة وكبارها من الصّحابة والتّابعين ومن بعدهم طريقة الحقّ والهداية"، ومعنىٰ ذلك أن التصوف في الأصل هو طريق الصحابة رضوان الله عنهم، والتابعين ومن بعدهم من الزهاد.

٣. قول ابن خلدون: "وأصلها – يعني الطريقة الصوفية– العكوف علىٰ العبادة والانقطاع إلىٰ الله تعالىٰ والإعراض عن زخرف الدّنيا وزينتها، والزّهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ٦١١

عامّا في الصّحابة والسّلف"، وبهذا يتفق (ابن خلدون) مع ما ذكرناه أن التصوف نشأ زهدًا وقد اقتفىٰ أربابه من زهد سيدنا رسول الله ﷺ طريقتهم في التصوف، والمراد من التصوف الإعراض عن الدنيا، والإقبال علىٰ الله.

٤. قول ابن خلدون: "فلمّا فشا الإقبال علىٰ الدّنيا في القرن الثّاني وما بعده وجنح النّاس إلىٰ مخالطة الدّنيا اختصّ المقبلون علىٰ العبادة باسم الصّوفيّة والمتصوّفة"؛ وهذا هو المراد من ظهور علم التصوف كسلوك؛ بسبب إقبال الناس علىٰ الدنيا، وتعلقهم بما فيها قصروا في الطاعة والعبادة، لذا ظهرت هذه المدرسة التي تُسمىٰ بالصوفية، أو التصوف.

لذا يمكن القول: إن التصوف قام علىٰ غرار الزهد وكثرة الطاعة والعبادة، وهذه بعض أقوال أرباب التصوف عن حقيقته:

١. قَالَ أَبُو عَليّ الروذباري ت سنة: ٣٦٩ هـ[١]: وَسُئِلَ عَن الصوفي فَقَالَ: "من لبس الصُّوف علىٰ الصفاء، وَأطْعم الْهوىٰ ذوق الْجفَاء، وَكَانَت الدُّنْيَا مِنْهُ علىٰ الْقَفَا، وسلك منهاج الْمُصْطَفىٰ"[٢].

٢. وَسُئِلَ سهل بن عبدالله التسترِي ت سنة ٢٨٣ هـ[٣] من الصُّوفِي فَقَالَ: "من

---

(١) قال عنه أبو عبدالرحمن السُّلَمِيُّ: "أَبُو عبدالله الرُّوذَبَارِي واسْمه أَحْمد بن عَطاء بن أَحْمد الرُّوذَبَارِي ابْن أُخْت أبي عَليّ الرُّوذَبَارِي، شيخ الشَّام فِي وقته، يرجع إلىٰ أَحْوَال يخْتَص بهَا وأنواع من الْعُلُوم: من علم الْقرَاءَات فِي الْقُرْآن، وَعلم الشَّرِيعَة، وَعلم الْحَقِيقَة، وأخلاق وشمائل يخْتَص بهَا وتعظيم للفقر، وصيانة لَهُ، وملازمة لآدابه، ومحبة للْفُقَرَاء، وميل إِلَيْهِم، ورفق بهم، مَاتَ بصور فِي ذِي الْحجَّة سنة تسع وَسِتِّينَ وثلاثمائة وَأسْندَ الحَدِيث"، راجع: طبقات الصوفية، أبو عبدالرحمن السلمي (ت: ٤١٢هـ)، المحقق: مُصطفىٰ عبدالقادر عطا، ص ٣٧٠.

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذي، ص ٩

(٣) قال عنه الذهبي في سيره: "سَهْلُ بنُ عَبْدِاللهِ بنِ يُوْنُسَ أَبُو مُحَمَّدٍ التُّسْتَرِيُّ، شَيْخُ العَارِفِيْنَ، أَبُو مُحَمَّدٍ التُّسْتَرِيُّ، الصُّوْفِيُّ الزَّاهِدُ. صَحِبَ خَالَهُ؛ مُحَمَّدَ بنَ سَوَّارٍ، وَلَقِيَ فِي الحَجِّ ذَا النُّوْنِ، المِصْرِيَّ وَصَحِبَهُ. رَوىٰ عَنْهُ الحِكَايَات: عُمَرُ بنُ وَاصِلٍ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ الجَرَيْرِيُّ، وَعَبَّاسُ بنُ عِصَامٍ، وَمُحَمَّدُ بنُ المُنْذِرِ الهُجَيْمِيُّ، وَطَائِفَةٌ. لَهُ كَلِمَاتٌ نَافِعَةٌ، وَمَوَاعِظُ حَسَنَةٌ؛ وَقَدَمٌ رَاسِخٌ فِي الطَّرِيْقِ،..... فِي المُحَرَّمِ، سَنَةَ ثَلاَثٍ وَثَمَانِيْنَ وَمائَتَيْنِ.

صفا من الكدر، وامتلأ من الْفِكر، وَانْقطع إِلىٰ الله من الْبشر، واستوىٰ عِنْده الذَّهَب والمدر "[1]

٣. سُئِلَ أَبُو الْحسن النوري ت سنة: ٢٩٥ هـ[2] مَا التصوف فَقَالَ: "ترك كل حَظّ للنَّفس"[3].

٤. وَسُئِلَ الْجُنَيْد ت سنة ٢٩٧ هـ[4] عَن التصوف فَقَالَ: "تصفية الْقلب عَن مُوَافقَة الْبَريَّة، ومفارقة الْأَخْلَاق الطبيعية، وإخماد الصِّفَات البشرية، ومجانبة الدَّوَاعِي النفسانية، ومنازلة الصِّفَات الروحانية، والتعلق بالعلوم الْحَقِيقِيَّة، وَاسْتِعْمَال مَا هُوَ أولىٰ علىٰ الأبدية، والنصح لجَمِيع الْأمة، وَالْوَفَاء لله علىٰ الْحَقِيقَة، وَاتِّبَاع الرَّسُول ﷺ فِي الشَّرِيعَة "[5].

وَيُقَالُ: عَاشَ ثَمَانِيْنَ سَنَةً أَوْ أَكْثَر. سَمِيُّهُ: الزَّاهِدُ المُحَدِّثُ"، راجع: سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ: شعيب الأرناؤوط، ١٣/٣٣٠-٣٣٣.

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذي، ص ٩

(٢) قال عنه الخطيب البغدادي في تاريخه: "حْمَد بْن مُحَمَّد، أَبُو الحسين النوري: شيخ الصوفِية فِي وقته، كَانَ مذكورًا بكثرة الاجتهاد وحسن العبادة، وقد رُوِيَ عنه عَن سري السقطي حَدِيث مسند. أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيل بْن أَحْمَد الحيري، أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدالرَّحْمَن مُحَمَّد بْن الْحُسَيْن السلمي قَالَ: أَحْمَد بْن مُحَمَّد النوري كنيته أَبُو الحسين، ويقال مُحَمَّد بْن مُحَمَّد- وأَحْمَد أصح- بغدادي المولد وَالمنشأ، كَانَ يعرف بابن البغوي قديمًا، وأصله من خراسان من ناحية بغ، كَانَ الجنيد يعظم شأنه. مات قبل الجنيد، ولما مات الجنيد أمر أن يدفن بجنبه فلم يفعل، وَهُوَ أعلم العراقيين بلطائف علم القوم،... مات سنة خمسة وتسعين ومائتين"، راجع: تاريخ بغداد وذيوله، الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق: مُصطفىٰ عبدالقادر عطا، ٥/٣٣٨-٣٤٣.

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذي، ص ٩

(٤) قال عنه ابن الملقن: "الجنيد بن محمد، الخراز القواريري أبو القاسم. شيخ وقته، ونسيج وحده. أصله نهاوند، ومولده ومنشؤه ببغداد. صحب جماعة من المشايخ، واشتهر بصحبة خاله السري، والحارث المحاسبي. ودرس الفقه علي أبي ثور، وكان يفتي في حلقته - بحضرته - وهو ابن عشرين سنة، انظر: طبقات الأولياء، ابن الملقن (ت: ٨٠٤هـ)، تحقيق: نور الدين شريبه، ص ١٢٦.

(٥) التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذي، ص ٩

٥. قَالَ يُوسُف بِن الْحُسَيْن [١]: "لكل أمة صفوة؛ وهم وَدِيعَة الله الَّذين أخفاهم عَن خلقه فَإِن يكن مِنْهُم فِي هَذِه الْأمة فهم الصُّوفِيَّة"[٢].

فنجد أن أرباب التصوف لم يقولوا بدعًا من القول، ولم يظهر هذا العلم كعلم مبتدع يطعن في الدين، بل نجد أن بطون الكتب السلفية زاخرة بهؤلاء الأعلام، فالإمام الجنيد رحمه الله تَعَالَىٰ لا يذكره الشيخ ابن تيمية إلا بسيد الطائفة، وقد تَرضىٰ عنه، وقال : إمام هُدًى، وهذا نص كلامه: "كَانَ الْجُنَيْد ﷺعَنْهُ سَيِّدُ الطَّائِفَةِ إِمَامَ هُدًى، فَكَانَ قَدْ عَرَفَ مَا يَعْرِضُ لِبَعْضِ السَّالِكِينَ، فَلَمَّا سُئِلَ عَنْ التَّوْحِيدِ قَالَ: التَّوْحِيدُ إفْرَادُ الْحُدُوثِ عَنِ الْقِدَمِ. فَبَيَّنَ أَنَّهُ يُمَيِّزُ الْمُحْدَثَ عَنْ الْقَدِيمِ تَحْذِيرًا عَنِ الْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ"[٣]، وفي موضع آخر يصفه بأنه أحد الأئمة العارفين، وهذا نص كلامه: "والجنيد رحمه الله تكلم بكلام الأئمة العارفين"[٤].

وعلىٰ هذا الغرار كان الشيخ ابن قيم الجوزية = محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ت سنة: ٧٥١هـ، أيضًا يذكره قائلًا: "سَيِّدُ الطَّائِفَةِ الْجُنَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ"[٥]، وينقل عنه أيضًا قوله: "مَنْ لَمْ يَحْفَظِ الْقُرْآنَ وَيَكْتُبِ الْحَدِيثَ، لَا يُقْتَدَىٰ بِهِ فِي هَذَا الْأَمْرِ، لِأَنَّ عِلْمَنَا مُقَيَّدٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَقَالَ: مَذْهَبُنَا

---

(١) قال عنه ابن أبي يعلىٰ: "يوسف بْن الحسين بْن عَلِيٍّ أَبُو يَعْقُوب الرازي من مشايخ الصوفية، كان كثير الأسفار، وصحب ذا النون المصري، وأبا تراب النخشبي؛ وأبا سعيد الخراز، وَحَكىٰ عَنْ ذي النون، وسمع إمامنا أَحْمَد -يعني الإمام أحمد بن محمد بن حنبل- ورد بغداد وسمع منه بها أَبُو بَكْرٍ النجاد. أنبأنا الْوَالِدُ السَّعِيدُ عَنْ أبي مُحَمَّد الخلال حَدَّثَنِي عبدالواحد بْن عَلِيٍّ حَدَّثَنَا أَحْمَد بْنُ سليمان قَالَ: سمعت يوسف بْن الحسين قَالَ: سمعت ذا النون المصري قَالَ: من جهل قدره هتك ستره،... مات سنة أربع وثلاثمائة، ورؤي فِي المنام بعد موته فقيل له: ماذا فعل الله بك؟، قَالَ: غفر لي ورحمني، فقيل: بماذا؟، فقال: بكلمة؛ أو بكلمات قلتها عند الموت، قلت: اللهم إني نصحت قولًا وخنت نفسي فعلًا فهب خيانة فعلي لنصيحة قولي"، طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلىٰ، ٤١٨/١-٤٢٠.

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذي، ص ٩.

(٣) مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية، ٤٩١/٥.

(٤) الصفدية، ابن تيمية، المحقق: محمد رشاد سالم، ٢٦٦/١.

(٥) مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ٩٩/٢.

هَذَا مُقَيَّدٌ بِأُصُولِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ"[١].

وعندما ترجم له الشيخ الذهبي = شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ت سنة: ٧٤٨هـ قال عنه:"الجنيد شيخ الصوفية"[٢]، وينقل عنه أنه قال: "عِلْمُنَا مَضْبُوطٌ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مَنْ لَمْ يَحْفَظِ الكِتَابَ وَيَكْتُبِ الحَدِيْثَ وَلَمْ يَتَفَقَّهْ، لاَ يُقْتَدَىٰ بِهِ"[٣].

اعتقاد سهل بن عبدالله التستري نقل الشيخ اللالكائي (أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت: ٤١٨هـ)) في (شرح أصول اعتقاد أهل السنة) عن اعتقاد سهل بن عبدالله التستري . رحمه الله يَقُولُ أوَ قِيلَ لَهُ: مَتَىٰ يَعْلَمُ الرَّجُلُ أَنَّهُ علىٰ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؟" قَالَ: "إِذَا عَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ عَشْرَ خِصَالٍ: لَا يَتْرُكُ الْجَمَاعَةَ، وَلَا يَسُبُّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا يَخْرُجُ علىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالسَّيْفِ، وَلَا يُكَذِّبُ بِالْقَدَرِ، وَلَا يَشُكُّ فِي الْإِيمَانِ، وَلَا يُمَارِي فِي الدِّينِ، وَلَا يَتْرُكُ الصَّلَاةَ علىٰ مَنْ يَمُوتُ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِالذَّنْبِ، وَلَا يَتْرُكُ الْمَسْحَ علىٰ الْخُفَّيْنِ، وَلَا يَتْرُكُ الْجَمَاعَةَ خَلْفَ كُلِّ وَالٍ جَارَ أَوْ عَدَلَ"[٤].

وَمِنْ كَلاَمِ سَهْلٍ: لاَ مُعِيْنَ إِلاَّ اللهُ، وَلاَ دَلِيْلَ إِلاَّ رَسُوْلُ اللهِ، وَلاَ زَادَ إِلاَّ التَّقْوَىٰ، وَلاَ عَمَلَ إِلاَّ الصَّبْرُ عَلَيْهِ. وَعَنْهُ قَالَ: الجَاهِلُ مَيِّتٌ، وَالنَّاسِي نَائِمٌ، وَالعَاصِي سَكْرَانُ، وَالمُصِرُّ هَالِكٌ. وَعَنْهُ قَالَ: الجُوْعُ سِرُّ اللهِ فِي أَرْضِهِ، لاَ يُودِعُهُ عِنْدَ مَنْ يُذِيْعُهُ"[٥].

والتصوف ليس بدعًا من القول كما يذكر د. الرضواني، بل أرباب التصوف

(١) مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، ٤٣٤/٢.
(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٦٦/١٤.
(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٦٧/١٤.
(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ٢٠٥/١.
(٥) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٣٣١/١٣.

من السادة العلماء الأكابر قد ضبطوه بميزان الكتاب والسنة وحسن الاتباع وشرف الاقتداء، وحسن الأدب، فقد قيد الإمام السراج الطوسي التصوف بأربعة أصول هي: الأصل الأول: متابعة كتاب الله تَعَالَىٰ، الأصل الثاني: الاقتداء بسيدنا رسول الله ﷺ، الأصل الثالث: التخلق بأخلاق الصحابة والتابعين، الأصل الرابع: التأدب بآداب عباد الله الصالحين"[1].

والسؤال هنا للدكتور الرضواني: هل هناك من علم يُسمىٰ بالمذاهب المعاصرة؟!

فدومًا تكتب هذا بكتبك د. محمود عبدالرازق الرضواني، أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة، وبالتالي علىٰ غرار قياسك أن التصوف علم مبتدع لم يكن موجودًا باسمه علىٰ عهد سيدنا رسول الله ﷺ ولا الصحابة ولا التابعين!

فهل المذاهب من باب العلوم الشرعية؟!

وإذا كنا سنحتكم للنص القرآني أو الحديثي، فلم ترد تسمية المذاهب بالكتاب ولا السنة، وكذا مصطلح الاعتقاد أو العقيدة لم يكن معروفًا برسمه هكذا علىٰ عهد سيدنا رسول الله ﷺ ولا الصاحبة ولا التابعين، فمن أين استقيت هذا المصطلحات؟!

(١) اللمع في التصوف، السراج الطوسي، ص ٢١.

المبحث الثالث

عدم صحة الاشتقاق اللغوي لكلمة التصوف

ذكر د. محمود الرضواني أن هناك رأيًا يرىٰ أن كلمة التصوف لا توافق أصلها من الاشتقاقات اللغوية لأنها بمعنىٰ الرفعة ولا يوجد اشتقاق لهذه الكلمة يدل علىٰ ذلك.

وهذا الذي ذكره آنفًا في كتابه (سهل) وكرره في كتبه كفاية الطالبين، فذكر أيضًا ما نصه: " والمسألة في رد التصوف إلىٰ الصوف، أو الصفاء والصفوة، أو أهل الصفة، أو الصف الأول تفتقر إلىٰ وجه صريح، وتبرير صحيح يعتمد علىٰ الأصول القرآنية والنبوية، ومن ثم لجأ كثير من المحققين إلىٰ جعل النسبة علمًا بلا اشتقاق معروف، واعتبروه اسمًا بلا وصف أو أصل، أو علمًا علىٰ ذات التصوف دون البحث عن مضمون الاسم أو محتواه"(١).

وهذا الرأي يجانبه الصواب لعدة أدلة:

الدليل الأول: أن بعض العلماء ذكروا أن المعاجم لا تستوعب جميع مفردات اللغة، منهم العلامة أحمد بن فارس ت ٣٩٥ هـ، فقد ذكر أن الإحاطة بجميع كلام العرب لا يقدر عليه أي أحد من البشر اللهم إلا إذا كان نبيًا من الأنبياء عليهم السلام ويكون هذا بواسطة الوحي الشريف، وهذا نص كلامه في نهاية كتابه معجم مقاييس اللغة: "قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجَلُّ السَّعِيدُ، أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَجْزَلَ لَهُ الثَّوَابَ. قَدْ ذَكَرْنَا مَا شَرَطْنَا فِي صَدْرِ الْكِتَابِ أَنْ نَذْكُرَهُ، وَهُوَ صَدْرٌ مِنَ اللُّغَةِ صَالِحٌ. فَأَمَّا الْإِحَاطَةُ بِجَمِيعِ كَلَامِ الْعَرَبِ [فَهُوَ] مِمَّا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَىٰ، أَوْ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ – عَلَيْهِمُ السَّلَامُ – بِوَحْيِ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَعَزَّ، ذَلِكَ

(١) كفاية الطالبين، د. محمود عبدالرازق الرضواني، ١/ ٥٢٨-٥٢٩.

إِلَيْهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَبَاطِنًا وَظَاهِرًا. وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ علىٰ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ، الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ"[1].

ومنهم أيضًا: فريق تأليف معجم اللغة العربية المعاصرة، وقد نصوا علىٰ ذلك صراحة في مقدمة معجمهم فقالوا: "لا شكَّ أن العالم العربي– الآن– يعاني من قُصور في المجال المعجمي إذا ما قُورِن بالنهضة المعجميَّة في البلاد الأوربيَّة التي اعتبرت المعاجم هدفًا قوميًّا فخصَّصوا لتلك الصناعة كافة الإمكانات وذلَّلوا لها كلَّ السبلِ الممكنة. والمتتبِّع الآن للغة المعاصرة– وما يصيب دلالة مفرداتها من تطوُّر مستمرّ، بالإضافة إلىٰ استحداث كلمات جديدة لمسايرة التقدُّم العلميّ والتكنولوجيّ الهائل–يجد أنَّ معظمها لم يثبت في المعاجم بعد، رغم وفرة عدد من المعاجم المعاصرة، التي يتَّسم معظمها بالاعتماد الكلِّيّ علىٰ أعمال السابقين واجترارها عامًا بعد عام؛ حيث تكتفي هذه المعاجم بالنقل أو الاختصار أو إعادة الترتيب أحيانًا، وهكذا ظل التفكير في جمع ثان لمفردات اللغة العربية المعاصرة، وكيفية توظيفها في سياقاتها المتعددة، والاهتمام بالتصاحبات الحرَّة للكلمات والتصاحبات المنتظمة أو المتكررة، والتعبيرات الاصطلاحية– ظل كلُّ ذلكَّ مطلبًا مُلِحًّا، كما ظلَّ غيابه قصورًا في صناعة المعجم الحديث[2]، حيث ذكروا ألفاظًا وكلمات لم ترد في المعاجم وذكرها أصحاب الكتب السابقة.

الدليل الثاني: أن مصطلح الصوفية قد ورد في بعض المعاجم العربية القديمة كمعجم (أساس البلاغة) للزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، وهو من كبار علماء اللغة في القرن السادس – حيث قال في مادة (ص و ف) : (ويقال: كان آل صوفة يجيزون الحاج من عرفات أي يفيضون بهم، ويقال لهم: آل صوفان وآل صفوان وكانوا

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ١٦٠/٦.
(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبدالحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ)، بمساعدة فريق عمل، ٩/١.

يخدمون الكعبة ويتنسّكون ولعلّ الصوفية نسبوا إليهم تشبيهًا بهم في النسك والتعبد أو إلىٰ أهل الصفة فقيل: مكان الصفية الصوفية بقلب إحدىٰ الفاءين واوًا للتخفيف أو إلىٰ الصوف الذي هو لباس العباد وأهل الصوامع)[1]، و أرجع اسم "التصوف" في المادة السابقة إلىٰ رجل زاهد متعبد في الجاهلية كان يلقب بـ(صوفه) واسمه الغوث بن مر بن أد، وورد في مقاييس اللغة لابن فارس حديث قال في مادة (ص و ف) : (وَصُوفَةُ: قَوْمٌ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، كَانُوا يَخْدِمُونَ الْكَعْبَةَ، وَيُجِيزُونَ الْحَاجَّ. وَحُكِيَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّهُمْ أَفْنَاءُ الْقَبَائِلِ تَجَمَّعُوا فَتَشَبَّكُوا كَمَا يَتَشَبَّكُ الصُّوفُ. قَالَ:

وَلَا يَرِيمُونَ فِي التَّعْرِيفِ مَوْقِفَهُمْ ... حَتَّىٰ يُقَالَ أَجِيزُوا آلَ صُوفَانَا

فَأَمَّا قَوْلُهُمْ: صَافٍ عَنِ الشَّرِّ، إِذَا عَدَلَ، فَهُوَ مِنْ بَابِ الْإِبْدَالِ، يُقَالُ: صَابَ، إِذَا مَالَ. وَقَدْ ذُكِرَ فِي بَابِهِ) [2].

الدليل الثالث: أن بعض المعاجم التي تُسمىٰ بمعاجم المصطلحات القديمة والحديثة قد نصت علىٰ ثبوت هذه المادة مثل مقاليد العلوم لعبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت: ٩١١هـ)، حيث سمىٰ الباب الحادي والعشرين والأخير في كتابه مقاليد العلوم بالتصوف، وقال: "الْبَاب الْحَادِي وَالْعشْرُونَ فِي التصوف، ١٧٧٢ – (٣٧ /أ) التصوفُ: هُوَ الْعلم بالأصول الموروثة من تَصْحِيح الْأَعْمَال ظَاهرًا وَبَاطنًا"[3].

الدليل الرابع: أن هناك معاجم معاصرة ذكرت ونصت علىٰ ثبوت هذه الكلمة وأن لها أصلًا، ومن المعلوم أن اللغة كالكائن الحي الذي يتطور، فمن القصور أن

(١) أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ٥٦٤/١، مادة (ص و ف).
(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣٢٢/٣. مادة (ص و ف).
(٣) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، السيوطي، المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، ص ٢١٠.

يقتصر المرء علىٰ المعاجم القديمة دون العروج علىٰ الحديث منها ففي المعجم الوسيط : ((الصُّوفِي) من يتبع طَرِيقَة التصوف والعارف بالتصوف وَأشهر الآراء فِي تَسْمِيَته أَنه سمي بذلك لِأَنَّهُ يفضل لبس الصُّوف تقشفًا) [(١)]، كما وردت هذه اللفظة في (معجم اللغة المعاصرة) للدكتور أحمد مختار عمر، وقد صرح الأستاذ: عباس محمود العقاد ت: ١٩٦٤/٣/١٣ م في مقدمته النفيسة لمعجم الصحاح أن المعاجم دائمة التطور وأن الاستقرار للمستوىٰ النحوي والصوفي وقواعد اللغة فيهما[(٢)].

فالتصوف مثله مثل أي مصطلح خضع لعملية نمو تاريخي متواصل تبعًا لتأثره بالعوامل المختلفة وما تفرضه من ابتعاد عن المعنىٰ الأولي للمصطلح واكتسابه لمعان جديدة وإبعاده لمعان قديمة كانت جزءًا من معنىٰ ودلالة المصطلح.

فمثلًا كان التصوف علىٰ مستوىٰ الحضارة العربية والإسلامية يدل من لفظه علىٰ المغالاة في الزهد، ثم صار يدل علىٰ موقف استثنائي فردي في البيئة الدينية والروحية عامة، ثم اكتسب صفة موقف خاص في المعرفة والوجود، وعليه تدرج مفهوم هذا المصطلح عبر مراحل تطور التصوف، واكتسب اللفظ في العصر الحديث معاني جديدة[(٣)].

أما من حيث أصل هذا التعبير فالأقاويل فيه كثيرة: فمن المرجح أنه لفظ جامد غير مشتق، وليس يشهد بهذا الاسم من حيث العربية قياس بَيِّن ولا اشتقاق

(١) المعجم الوسيط، تأليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٥٢٩/١، مادة (ص و ف).
(٢) تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطّار، تقديم : أ. عباس العقاد، والملك فهد بن عبدالعزيز، ١/١-٨.
(٣) ينظر: التصوف المقارن، د. محمد، غلاب، ص١٠.

كذلك لأن مصدر (صفا): (صفو) بتأخير حرف العلة عن الفاء، والأظهر فيه أنه غير مشتق بل هو جامد كاللقب[١].

فأما قول من قال إنه من الصوف وتصوف إذا لبس الصوف، كما يقال: تقمص إذا لبس القميص فذلك وجه، لكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف ومن قال إنهم منسوبون إلىٰ صفة مسجد رسول اللَّه ﷺ فالنسبة إلىٰ الصفة لا تجيء علىٰ نحو الصوفي. ومن قال: إنه من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضىٰ اللغة وقول من قال: إنه مشتق من الصف فكأنهم في الصف الأوَّل بقلوبهم من حيث المحاضرة من اللَّه تَعَالَىٰ فالمعنىٰ صحيح، ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلىٰ الصف ثمَّ إن هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج في تعيينهم إلىٰ قياس لفظ واستحقاق اشتقاق[٢].

ومن قائل إنه مشتق من الصفاء أو الصفو، والمراد صفو قلوب أهل التصوف وانشراح صدورهم ورضاهم بما يجزيهم الله عليه، ثم إنهم مع الله في صفاء لا يشوبه شاغل، وهم بما أطلعهم الله عليه قد صفوا من كدر الجهل، وقد قالوا: كان في الأصل صفوي، فاستثقل ذلك فقيل: صوفي[٣].

ولما كان التصوف من متطلباته الصفاء، وهذا الوصف صفة أهل الصُّفَّة، وبه يصح الاشتقاق لغويًا من مادة صوف؛ يمكن القول بأن الاشتقاق الصحيح لمادة التصوف من الصوف هو الأرجح، وهو الرأي الصحيح كما سبق وذكرنا أقوال العلماء عند تعريف التصوف في بداية البحث.

---

(١) ينظر: الرسالة القشيرية، القشيري، ٢/ ٤٤٠، و التصوف، ماسينيون لويس، وعبدالرازق مصطفىٰ، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية: إبراهيم خورشيد، عبدالحميد يونس، حسن عثمان، ص ٥٧.

(٢) الرسالة القشيرية: ٢/ ٤٤٠.

(٣) ظاهرة التصوف الإيجابي في فكر محمد إقبال، إعداد / بلحمام نجاة، رسالة دكتوراه، ٢٠١٢/٢٠١١، ص ٦١.

فلان يلبس الصوف والقطن أي ما يعمل منهما. وكبش صاف وصوفاني ونعجة صافة وصوفانية: كثيرًا الصوف. وصاف الكبش بعد زمره يصوف ويصاف صوفًا، ولا أفعل ذلك ما بلّ بحر صوفة. ويقال: كان آل صوفة يجيزون الحاج من عرفات أي يفيضون بهم، ويقال لهم: آل صوفان وآل صفوان وكانوا يخدمون الكعبة ويتنسّكون ولعلّ الصوفية نسبوا إليهم تشبيهًا بهم في النسك والتعبد، أو إلىٰ أهل الصفة فقيل: مكان الصفية الصوفية بقلب إحدىٰ الفاءين واوًا للتخفيف أو إلىٰ الصوف الذي هو لباس العباد وأهل الصوامع(١).

(الصُّوفِي) من يتبع طريقة التصوف والعارف بالتصوف وأشهر الآراء في تسميته أنه سمي بذلك لأنَّه يفضل لبس الصُّوف تقشفًا. (الصُّوفِيَّة) التصوف (٢)، وتصوَّف الرَّجلُ وهو صُوفِيٌّ من قومٍ صُوفيَّة كلمة مُولَّدة (٣).

وهذا التطور ضمن ظاهرة عالمية تسمىٰ: (التطور الدلالي) للكلمة، و هو "أحد جوانب التطور اللغوي، وميدانه الكلمات ومعانيها، ومعاني الكلمات لا تستقر علىٰ حال بل هي في تغير مستمر لا يتوقف، ومطالعة أحد معاجم العربية تبرهن علىٰ هذا التطور، وتبين أن معاني الكلمات متغيرة من عصر إلىٰ عصر"(٤).

فمثلًا: هناك ألفاظ كانت تستعمل في دلالات عامة، وبمرور الوقت والاستعمال، اتجه الناس إلىٰ تضييق مجالها وتخصيصها، لأن إدراك الدلالة الخاصة أيسر من إدراك الدلالة الكلية(٥)، وذلك؛ لأنها أقرب للأذهان من العامة،

(١) أساس البلاغة، الزمخشري (ت : ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ٥٦٤/١، مادة (ص وف).
(٢) المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفىٰ أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار)، ٥٢٩/١، مادة (ص و ف)
(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، ٣٥٢/١، مادة (ص و ف).
(٤) التطور الدلالي في العربية في ضوء علم اللغة الحديث، د/حسين أحمد صالح، ص ٦٥.
(٥) دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، ص ١٥٣.

ولعل أبرز مثال في هذا المجال هو تخصيص الألفاظ الإسلامية، مثل الحج، يحدثنا ابن فارس عن تخصيص الدلالة فيه فيقول : "ثم اختفىٰ بهذا الاسم القصد إلىٰ البيت الحرام للنّسك، والحجيج والحاج "[١].

وقل مثل ذلك في: الصلاة، التي تحولت من الدعاء العام إلىٰ الدلالة الخاصة علىٰ الصلاة، وغيرهما مما خصصه الإسلام.

ومن لطيف ما ورد لفظ (السبت) في اللغة يعني (الدهر) ثم خُصَّ في الاستعمال بأحد أيام الأسبوع، وهو فرد من أفراد الدهر [٢].

وكذلك أيضا "الأثاث": يطلق الأثاث في الأصل علىٰ: "الكثير من المال، وقيل: كثرة المال، وقيل المال كله، والمتاع ما كان من: لباس أو حشو لفراش، أو دثار، واحدته أثاثه[٣]"، فخصصت دلالته بمتاع البيت من: فراش وأسرة ومقاعد– .

وكذلك: النّشل": في اللسان:"نشل الشيء نشلًا: أسرع في نزعه، ونشل اللحم: أخرجه بيده من القدر من غير مغرفة [٤]، ثم صار (النشل) في عربيتنا اليوم السرقة.

وكذلك كلمة: (حرامي) في الأصل منسوبة إلىٰ "الحرام"[٥]، ثم تخصصت دلالتها، وأصبحت تعني "اللّص"، كما هو متداول اليوم.

وهذه الظاهرة تحدث عنها العلماء قديمًا كابن فارس في كتابه: (الصاحبي)، والسيوطي في (المزهر)، حيث عقد بابا خاصًا عنوانه (معرفة العام والخاص)، وضمنه خمسة فصول، فضلًا عن أصحاب المعاجم اللغوية الذين عرجوا عليه،

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس، راجعه وعلق عليه: د.أنس محمد الشامي، ٢٩/٢.
(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولىٰ وآخران، ٤٢٧/١.
(٣) لسان العرب، ١١٠/٢، مادة (أثث).
(٤) لسان العرب، ٦٦١/١١، مادة (نشل).
(٥) دلالة الألفاظ، د.إبراهيم أنيس، ص ١٢٥.

أما حديثًا فقد تناوله الدكتور: إبراهيم أنيس في كتابه: (دلالة الألفاظ)، والدكتور: أحمد مختار عمر في كتابه (علم الدلالة)، والدكتور: رمضان عبدالتواب في كتابه: (التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه)، والدكتور: حسين حامد الصالح في بحثه الدلالي في العربية "، والدكتور: عليان بن محمد الحازمي في بحثه (علم الدلالة عند العرب)، وغيرهم.

كما أن كلمة (الخصخصة) – الخوصصة – كلمة اقتصادية جديدة علىٰ مسماعنا، لكنها في الأصل مشتقة من مادة (خصص)، وقد ترجم بها المصطلح الإنجليزي (Privatization)، قال أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ): " الْخَاءُ وَالصَّادُ أَصْلٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ، وَهُوَ يَدُلُّ علىٰ الْفُرْجَةِ وَالثُّلْمَةِ. فَالْخَصَاصُ الْفُرَجُ بَيْنَ الْأَثَافِيِّ. وَيُقَالُ لِلْقَمَرِ: بَدَا مِنْ خَصَاصَةِ السَّحَابِ،.... الْخَصَاصَةُ: الْإِمْلَاقُ. وَالثُّلْمَةُ فِي الْحَالِ. وَمِنَ الْبَابِ خَصَصْتُ فُلَانًا بِشَيْءٍ خَصُوصِيَّةً، بِفَتْحِ الْخَاءِ، وَهُوَ الْقِيَاسُ لِأَنَّهُ إِذَا أُفْرِدَ وَاحِدٌ فَقَدْ أَوْقَعَ فُرْجَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، وَالْعُمُومُ بِخِلَافِ ذَلِكَ. وَالْخِصِّيصَي: الْخَصُوصِيَّةُ[1]،وتضم الخاء أيضًا، وفتح الياء فيها للنسبة فهي ياء المصدرية (أي المصدر الصناعي)، وهذا مبني علىٰ خصوص (فَعول) للمبالغة في التخصيص، وإذا ضُمت، فهي للمبالغة... وخّصيّة بالفتح، ويقال الخصوصية، والخاصة أسماء مصادر، وخصصه فتخصص[2]، يؤخذ من المعجم أن كلمة الخصخصة، تُعدُ خارجة علىٰ قياس الاشتقاق، وكان الصحيح أن يُطلق عليها المصدر الطبيعي وهو التخصيص، ويمكن أن يُطلق عليها المصدر الصناعي وهو التخصيصية، وهذا

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ١٥٢/٢-١٥٣.
(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضىٰ، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، مجموعة من المحققين، ٥٥١/١٧-٥٥٥.

هو الأنسب للمعنىٰ، فهي تعني تحويل المشروعات العامة إلىٰ مشروعات خاصة في مجال الملكية أو الإدارة[١].

قد تكون الصلة بين المدلولين مكانية، فقد ينتقل من المدلول إلىٰ ما يجاوره في المكان كما في تطور معنىٰ (الذقن) إلىٰ معنىٰ (اللحية)، وتطور معنىٰ (الظعينة) أي (المرأة في الهودج) إلىٰ معنىٰ (الهودج نفسه) وإلىٰ معنىٰ (البعير)، وتطور معنىٰ (الشنب) أي (بريق الأسنان) إلىٰ معنىٰ (الشارب) وتطور معنىٰ (السماء) إلىٰ السحاب والمطر، وتطور معنىٰ (المكتب) الذي يجلس إليه الإنسان ويكتب عليه إلىٰ معنىٰ (المصلحة الحكومية) أو المكان الذي تدار فيه الأعمال، ومن ذلك قولهم (شرب كوبا من الماء)، فهنا قد أطلق الظرف علىٰ (المظروف)، وقد تكون الصلة بين المدلولين زمانية، كانتقال معنىٰ (الشتاء) من الدلالة علىٰ فصل من فصول السنة أو معنىٰ (المطر)، وكذلك لفظة (العشاء) فقد تأرجحت دلالتها الأولىٰ بين ثلاثة أزمنة هي (أول الظلام) أو (المغرب إلىٰ العتمة) أو(من زوال الشمس إلىٰ طلوع الفجر) ثم انتقلت دلالته إلىٰ الزمنين الأخيرين لتقاربهما، وتحول معنىٰ (العقيقة) (الشعر الذي يخرج علىٰ الولد من (بطن أمه) إلىٰ معنىٰ (الذبيحة التي تنحر عند حلق ذلك الشعر)[٢]، وغير ذلك كثير فليراجع في كتب أصول اللغة وعلم الدلالة.

ويعلق د. الرضواني في موضع آخر ناقلًا نصًا دون نسبته لقائله، يقول فيه: "لا يصح من جهة الاشتقاق اللغوي رد التصوف إلىٰ الصفاء أو الصفوة، لأنه لو صح لقيل: صافي أو صَفَوِيٌّ لا صوفي"[٣].

---

(١) فصول في علم الدلالة، د. فريد عوض حيدر، طبعة ونشر مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠١١ م، ص ١٩٢-١٩٣ بتصرف.

(٢) مظاهر التطور الدلالي في كتب لحن العامة من القرن الثاني حَتَّىٰ نهاية القرن الرابع الهجري، د. أحلام فاضل عبود، ٢/١٦٠-١٦١.

(٣) التصوف هل له أصل في الكتاب والسنة، محمود عبدالرازق الرضواني، ص ٥٦.

وبالبحث تبين أن الكلام قد نُقِلَ من كلام الشيخ ابن تيمية، في ترجحيه لنسبة التصوف للصوف، وهو مرجع معتمد عن د. الرضواني، وهذا نص كلام ابن تيمية رحمه الله: "وَاسْمُ " الصُّوفِيَّةِ " هُوَ نِسْبَةٌ إلىٰ لِبَاسِ الصُّوفِ؛ هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، وَقَدْ قِيلَ إنَّهُ نِسْبَةٌ إلىٰ صَفْوَةِ الْفُقَهَاءِ، وَقِيلَ إلىٰ صُوفَةَ بْنِ أد بْنِ طانجة قَبِيلَةٌ مِنْ الْعَرَبِ كَانُوا يُعْرَفُونَ بِالنُّسُكِ، وَقِيلَ إلىٰ أَهْلِ الصُّفَّةِ، وَقِيلَ إلىٰ الصَّفَا، وَقِيلَ إلىٰ الصَّفْوَةِ، وَقِيلَ إلىٰ الصَّفِّ الْمُقَدَّمِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ تَعَالَىٰ، وَهَذِهِ أَقْوَالٌ ضَعِيفَةٌ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَقِيلَ صفي، أَوْ صَفَائِيٌّ، أَوْ صفوي، أَوْ صفي، وَلَمْ يَقُلْ صُوفِيٌّ"(١).

وعلىٰ هذا فإن الاشتقاق الصحيح للتصوف هو الصوف، وأن المصطلحات ربما لم تدون جميعها في عصر متقدم بسبب زخام المصطلحات، أو حدوثها في فترة متأخرة، وهذا ما أثبتناه آنفًا من صدر البحث لمنتهاه، وهذا من باب التطور الدلالي، الذي هو جانب من جوانب التطور اللغوي، ومن المعلوم أن الكلمة في معناها متغيرة، وقد لا تكون مستقرة في الأغلب الأعم، ودليل ذلك ما ذكرته المعاجم من حمل الكلمة الواحدة علىٰ جملة من المعاني، واختلاف الكلمات من زمن لزمن آخر.

أُنموذج من اعتقاد الصوفية (الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسىٰ البرنسي الفاسي، المعروف بـ زروق ـ ت: سنة ٨٩٩ هـ):

تجدر الإشارة إلىٰ أن د. الرضواني ومن اعتقد معتقده في التصوف وأهله فهم يرون أن الصوفية جميعهم لم تبعوا منهج الشرع الشريف، وأنهم بالجملة يتبعون منهجًا منحرفًا، ولذا وددت أن أضع نصوصًا تبرهن في المقام الأول علىٰ فساد قول د. الرضواني، وفي المقام الثاني: إن المنهج الصوفي في حقيقته عبارة

(١) مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية، ١٩٥/١١، والفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن، ابن تيمية، حققه وخرج أحاديثه: عبدالقادر الأرناؤوط، ص ٥٢.

عن منهج معتدل طالما انتهج الكتاب والسنة، وأن الانحراف الذي يقع من البعض لا يُعدُ حُكمًا عادلًا عَلىٰ التصوف جملة وتفصيلًا.

ومن الحقائق المُسلمة أن الكل لا يُحْكَمُ عليه بفساد البعض، فإن جملة من السلفية المعاصرة قد شكلوا تيارات تكفيرية، ومنهم من حمل التبديع والتفسيق والتكفير علىٰ الآخر ولو كان متابعًا له في المنهج لكنه اختلف معه في مسألة فإنه يُجهزُ عليه بالتكفير قولًا واحدًا دون نقاش، ولعل خير دليل علىٰ ذلك ما يفعله د. الرضواني عبر شاشة البصيرة من التشهير بالآخرين من أبناء الدعوة السلفية من أهل مصر وغيرهم لأنهم يخالفونه المنهج، علمًا بأنهم يتسربلون جميعًا بعباءة السلفية كما يقولون، ومن أراد المطالعة فليكتب عبر محرك البحث (GOOGLE) اسم د. محمود عبدالرازق الرضواني وسيجد كثيرًا من المقاطع الفيديو عبر اليوتيوب وغيره وفيها ما يعف اللسان عن ذكره.

وسأضع هذه النصوص التي تبرهن علىٰ سلامة معتقد أهل التصوف الصحيح .

قالَ الشَّيْخُ أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ زَرُّوقٌ رحمه الله: «التَصَوُّفُ كُلُّهُ رَاجِعٌ لِلصِّدْقِ، أَيْ: صِدْقِ التَّوَجُّهِ إِلىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ حَيْثُ يَرْضَىٰ بِمَا يَرْضَىٰ، وَعِبَارَةُ كُلِّ أَحَدٍ عَنْهُ علىٰ قَدْرِ مَا نَالَ مِنْهُ؛ إِذْ كُلُّ عِبَارَةٍ فِيهِ إِنَّمَا هِيَ مُخْبِرَةٌ عَنْ صِدْقِ تَوَجُّهِ صَاحِبِهَا»[1].

وقال رحمه الله: أَصْلُ التَّصَوُّفِ مَقَامُ الإِحْسَانِ الَّذِي فَسَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِـ«أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» لِأَنَّ مَعَانِي صِدْقِ التَّوَجُّهِ لِهَذَا الأَصْلِ رَاجِعَةٌ، وَعَلَيْهِ دَائِرَةٌ؛ إِذْ لَفْظُهُ دَالٌّ علىٰ طَلَبِ المُرَاقَبَةِ المَلْزُومَةِ لَهُ، فَكَانَ

(١) اللوائح الفاسية في شرح المباحث الأصلية علىٰ جملة الطريقة الصوفية، الشيخ أبي العباس أحمد زروق الفاسي، تحقيق: د. محمد عبدالقادر نصار، أ. عبدالله جمال حمدنا الله، ص١٠١.

الحَضُّ عَلَيْهَا حَضًّا علىٰ عَيْنِهِ، كَمَا دَارَ الفِقْهُ علىٰ مَقَامِ الإِسْلَامِ، وَالأُصُولُ علىٰ مَقَامِ الإِيمَانِ. فَالتَّصَوُّفُ أَحَدُ أَجْزَاءِ الدِّينِ الَّذِي عَلَّمَهُ عليه الصلاة والسلام جِبْرِيلَ لِيَتَعَلَّمَهُ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم أجمعين، فَافْهَمْ [١].

قَالَ رحمه الله: "كَيْفَ يَكُونُ التَّصَوُّفُ مُحْدَثًا وَمَدَارُ الشَّرِيعَةِ عَلَيْهِ؟! إِذْ مَقْصَدُهُ أَنْ يَكُونَ العَبْدُ علىٰ حَالَةٍ يَرْضَاهَا اللهُ وَرَسُولُهُ فِي جَمِيعِ حَالَاتِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَبِحَسَبِ هَذَا فَكُلُّ عِلْمٍ تَبَعٌ لَهُ؛ إِذْ لَيْسَ هُوَ إِلَّا شَرْطٌ فِيهِ أَوْ مُكَمِّلٌ لَهُ لِأَنَّهُ دَائِرٌ علىٰ مَقَامِ الإِحْسَانِ الَّذِي فَسَّرَهُ ﷺ بِقَوْلِهِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، وَذَلِكَ لَا يَصِحُّ بِدُونِ مَا تَقَعُ بِهِ العُبُودِيَّةُ وَالتَّعَبُّدُ مِنْ عَقَائِدِ الإِيمَانِ وَأَعْمَالِ الإِسْلَامِ، فَهُمَا ظَاهِرُهُ، كَمَا أَنَّهُ بَاطِنُهُمَا، لَا قِيَامَ لَهُمَا إِلَّا بِهِ، كَمَا لَا صِحَّةَ لَهُ بِدُونِهِمَا، كَمَثَلِ الأَرْوَاحِ وَالأَجْسَادِ، فَافْهَمْ، ثُمَّ المُتَكَلِّمُ فِي أَحْكَامِ مَقَامِ الإِسْلَامِ يُسَمَّىٰ فَقِيهًا وَعِلْمُهُ يُسَمَّىٰ فِقْهًا، وَالمُتَكَلِّمُ فِي عُلُومِ الإِيمَانِ يُسَمَّىٰ أُصُولِيًّا وَيُسَمَّىٰ عِلْمُهُ أُصُولًا، وَالمُتَكَلِّمُ فِي عِلْمِ التَّصَوُّفِ يُسَمَّىٰ مُتَصَوِّفًا وَ يُسَمَّىٰ عِلْمُهُ تَصَوُّفًا، وَالكُلُّ اصْطِلَاحٌ، غَيْرَ أَنَّ الفِقْهَ وُجِدَ فِي الصَّدْرِ الأَوَّلِ اتِّفَاقًا وَكَانَ يُطْلَقُ علىٰ كُلِّ مُحَقِّقٍ فِي عِلْمٍ، ثُمَّ تَمَيَّزَ الاصْطِلَاحُ بَعْدُ، وَأَنْكَرَ بَعْضُ النَّاسِ اسْمَ التَّصَوُّفِ بِمَا لَا حَاصِلَ تَحْتَهُ فَلَا نُطَوِّلُ بِهِ[٢].

وقال رحمه الله: "نَظَرُ الفَقِيهِ مَقْصُورٌ علىٰ مَا يَسْقُطُ بِهِ الحَرَجُ، وَنَظَرُ الأُصُولِيِّ مَقْصُورٌ علىٰ مَا يَصِحُّ بِهِ الأَصْلُ الَّذِي هُوَ الإِيمَانُ وَالسُّنَّةُ، وَنَظَرُ الصُّوفِيِّ مُتَعَدٍّ لِمَا يَحْصُلُ بِهِ الكَمَالُ، فَيَطْلُبُ فِي بَابِ الأُصُولِ تَحْلِيَةَ الإِيمَانِ بِالإِيقَانِ حَتَّىٰ يَصِيرَ فِي مَعَدِّ العِيَانِ، وَفِي بَابِ الفِقْهِ علىٰ أَنْ يَأْخُذَ بِالأَعلىٰ أَبَدًا، ثُمَّ لَهُ حُكْمٌ يَخُصُّهُ فِيمَا يَخُصُّهُ، وَمَدَارُ الأَمْرِ فِيهِ علىٰ اتِّبَاعِ الأَحْسَنِ وَالأَكْمَلِ لِقَوْلِهِ

(١) قواعد التصوف وشواهد التعرف، الشيخ أبي العباس أحمد زروق الفاسي، تحقيق: الشيخ نزار حمادي، ص٢٦ - ٢٧.
(٢) شرح المباحث الأصلية (ص ٩٦)

تَعَالَىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[الزمر: ١٨][١].

وقال رحمه الله: "التَّصَوُّفُ لَا يُعْرَفُ إِلَّا مَعَ العَمَلِ بِهِ، فَالاسْتِظْهَارُ بِهِ دُونَ عَمَلٍ تَدْلِيسٌ"[٢].

وقال رحمه الله: "المَقْصُودُ بِعِلْمِ أُصُولِ الدِّينِ إِثْبَاتُ الحَقِّ وَتَمْيِيزُهُ مِنَ البَاطِلِ، وَمَقْصُودُ التَّصَوُّفِ التَّحَقُّقُ بِمَا عُلِمَ مِنْ ذَلِكَ حَتَّىٰ يَكُونَ فِي مَعَدِّ العِيَانِ"[٣].

وَقَالَ رحمه الله: "شَرَفُ العِلْمِ علىٰ قَدْرِ شَرَفِ مُتَعَلَّقِهِ، وَمُتَعَلَّقُ عِلْمِ التَّصَوُّفِ أَشْرَف المُتَعَلَّقَاتِ لِأَنّ مَبْدَأَهُ التَّوْحِيدُ الدَّاعِي إِلىٰ خَشْيَةِ اللهِ، وَمُنْتَهَاهُ إِفْرَادُ القَلْبِ وَالقَالِبِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ علىٰ وَجْهٍ يَكُونُ فِيهِ اليَقِينُ مِنَ البَيَانِ فِي مَعَدِّ العِيَانِ"[٤].

وقال رحمه الله: "إِذَا كَانَ أَصْلُ التَّصَوُّفِ حَالَ أَهْلِ الصُّفَّةِ[٥] فَهُوَ أَمْرٌ ثَابِتٌ مِنَ الشَّارِعِ بِتَقْرِيرِهِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا البَحْثُ فِي التَّسْمِيَةِ، وَهُوَ أَمْرٌ اصْطِلَاحِيٌّ لَا مَدْخَلَ لِلْإِنْكَارِ فِيهِ إِنْ سَلِمَ مِنْ عَوَارِضِ الأَلْفَاظِ"[١].

---

(١) عدة المريد الصادق، الشيخ: أحمد زروق، المحقق: الصادق بن عبدالرحمن الغرياني، ص ٥٢.
(٢) تأسيس القواعد والأصول، (ص٤٦)
(٣) اغتنام الفوائد في شرح قواعد العقائد للإمام أبي حامد الغزالي للشيخ أحمد زروق رحمه الله، تحقيق: الشيخ نزار حمادي، ص٥٤.
(٤) شرح المباحث: ص٢٥١.
(٥) الصُّفَّةُ: موضع في المسجد كان يجلس فيه فقراء الصحابة المتجرّدين فعرفوا به، وعرفوا بأضياف الله وبأضياف الإسلام، وكانوا نحوا من ثمانين رجلًا، وآثروا التجرّد للعبادة وملازمة سيد المرسلين مع التزام شرط ذلك من ترك التشوّف للأسباب والرضا بما يواجههم الحق به من سعة أو ضيق، فلذلك لم يأمرهم ﷺ بالتسبب ولا ندبهم إليه، إلا من تشوّف منهم لذلك مثل سيدنا حكيم ابن حزام ﷺ؛ إذ كرر عليه المسألة فقال له عليه الصلاة والسلام: إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خيرٌ من اليد السلفىٰ، وهذا نص الحديث في الصحيحين: "عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَىٰ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًىٰ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ»، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كِتَابُ

وقال رحمه الله: "دَقَائِقُ عُلُومِ الصُّوفِيَّةِ مِنَحٌ إِلَهِيَّةٌ، وَمَوَاهِبُ اخْتِصَاصِيَّةٌ، لَا تُنَالُ بِمُعْتَادِ الطَّلَبِ"(٢).

وقال رحمه الله: "مَبْنَىٰ التَّصَوُّفِ علىٰ التَّصْدِيقِ وَالتَّسْلِيمِ، كَمَا أَنَّ مَبْنَىٰ الفِقْهِ علىٰ البَحْثِ وَالتَّحْقِيقِ، فَالأَصْلُ عِنْدَنَا حُسْنُ الظَّنِّ حَتَّىٰ يَأْتِيَ الصَّارِفُ، وَمَبْنَىٰ الأَمْرِ عِنْدَ الفُقَهَاءِ علىٰ عَكْسِهِ حَتَّىٰ يَأْتِيَ الصَّارِفُ، وَالحَذَرُ عِنْدَ الجَمِيعِ وَاجِبٌ إِلىٰ تَحَقُّقِ المَزِيَّةِ المَانِعَةِ مِنَ الضَّرَرِ، فَيَتَعَيَّنُ علىٰ كُلِّ مَنِ اعْتَقَدَ أَحَدًا أَنْ لَا يَقْتَدِيَ بِهِ حَتَّىٰ يُحَقِّقَ عِلْمَهُ وَدِيَانَتَهُ، ثُمَّ لَا يَضُرُّهُ مَا عَرَضَ مِنْ نَقْصِهِ مِنْ غَيْرِ مُوَافَقَةٍ لَهُ فِيهِ وَلَا إِيحَاشٍ لَهُ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ"(٣).

كتب المنهج الصحيح الصوفي، أرشد الشيخ أحمد زروق إلىٰ الكتب المفيدة، التي لا تُسببُ التباسًا للمبتدئ، وتبين المنهج الصوفي الصحيح، وذكر أربابها، ثم حذر من كتب بعض الشخصيات الذين تلبسوا بالتصوف الفلسفي، وذلك لقصور فهم من ينظر بكتبهم أولًا دون دراية بطريقتهم، ورمزية كلامهم، وهذا نص كلامه رحمه الله: "عِلْمُ التَّصَوُّفِ وَالأَحْوَالِ فَائِدَتُهُ تَحْقِيقُ العُبُودِيَّةِ، وَالنَّظَرُ فِي وَجْهِ تَعْظِيمِ الرُّبُوبِيَّةِ بِإِقَامَةِ الحُقُوقِ وَالإِعْرَاضِ بِالحَقِّ عَنْ كُلِّ مَخْلُوقٍ، وَأَقَلُّ مَا يُجْزِئُ فِيهِ «بِدَايَةُ الهِدَايَةِ» لِلْغَزَّالِيِّ -يعني حجة الإسلام أبي حامد الغزالي- ت ٥٠٥ هـ، وَأَوْسَطُهُ مِنْهَاجُهُ أَوْ بَعْضُ كُتُبِ المُحَاسِبِيِّ، وَأَعْلَاهُ كُتُبُ ابْنِ عَطَاءِ اللهِ - يعني ابن عطاء الله السكندري- ت ٧٠٩ هـ وَمَنْ نَحَا نَحْوَهُ.

الزَّكَاةِ، بَابُ لاَ صَدَقَةَ إِلَّا عَنْ ظَهْرِ غِنًى، ج ٢، ص ١١٢، حديث رقم ١٤٢٧، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَأَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ وَأَنَّ السُّفْلَىٰ هِيَ الْآخِذَةُ، ج ٢، ص ٧١٧، حديث رقم ١٠٣٤، راجع شرح المباحث، ص٩١ - ٩٢.

(١) شرح المباحث، ص٩٥ - ٩٦.

(٢) تأسيس القواعد والأصول، ص٤٧.

(٣) شرح حزب البحر، الشيخ أحمد زروق، تحقيق وتعليق: أحمد فريد المزيدي، ص٩٣.

وَأَمَّا كُتُبُ الحَاتِمِيِّ –يعني محيي الدين ابن عربي– ت ٦٣٨ هـ، وَابْنِ سَبْعِينَ – يعني عبدالحق بن سبعين ت ٦٦٩ هـ، وَابْنِ الفَارِضِ – يعني عمر ابن الفارض– ت ٦٣٢ هـ، وَأَبِي العَبَّاسِ البُونِيِّ –يعني أحمد بن علي البوني الجزائري– ت ٦٢٢ هـ، وَمَنْ جَرَىٰ مَجْرَاهُمْ فَلَهَا رِجَالٌ لَهُمْ فِي الحَقَائِقِ مَجَالٌ، وَعِنْدَهُمْ فِي التَّمْيِيزِ مَقَالٌ، فَلَا يَشْتَغِلُ بِهَا فِي البِدَايَةِ إِلَّا غَوِيٌّ، وَلَا فِي النِّهَايَةِ إِلَّا خَلِيٌّ، وَلَا فِي التَّوَسُّطِ إِلَّا ذَكِيٌّ يَأْخُذُ بِمَا بَانَ رُشْدُه، ويُسَلِّمُ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ لِيَسْلَمَ مِنْ آفَاتِهِ، وَمَا هُوَ إِلَّا كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي تَرْجَمَةٍ مِنْ كِتَابٍ لَهُ: «بَحْرٌ طَامِسٌ، يَحْتَاجُ لِبَحْرِيٍّ غَاطِسٍ».

وَقَدْ أَوْلَعَ بِهِ قَوْمٌ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا، وَفَارَقُوا العَمَلَ بِمَا تَوَهَّمُوهُ فَزَلُّوا، وَرُبَّمَا ادَّعَوْا مَا فَهِمُوهُ أَوْ تَنَسَّمُوهُ حَالًا لِأَنْفُسِهِمْ فَافْتَضَحُوا بِشَوَاهِدِ الأَحْوَالِ [١].

وقال رحمه الله: مَذْهَبُ الصُّوفِيَّةِ فِي الِاعْتِقَادَاتِ تَابِعٌ لِمَذْهَبِ السَّلَفِ فِي إِثْبَاتِ التَّنْزِيهِ وَنَفْيِ التَّشْبِيهِ، مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِلتَّأْوِيلِ، وَلَا مَيْلٍ إِلىٰ الأَبَاطِيلِ. وَإِنْ تَكَلَّمُوا فِي شَيْءٍ مِنَ التَّأْوِيلِ فِي نَفْيِ المُحَالِ فَعلىٰ سَبِيلِ العِلْمِ وَإِبْدَاءِ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الفَهْمِ، لَا علىٰ وَجْهِ القَطْعِ وَالجَزْمِ، فَهُمْ يَقُولُونَ فِي كُلِّ صِفَةٍ سَمْعِيَّةٍ مَا قَالَهُ «مَالِكٌ»– مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري المدني (٩٣–١٧٩هـ / ٧١١–٧٩٥م)– ﷺ فِي الِاسْتِوَاءِ إِذْ قَالَ: «الاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ»، يَعْنِي مِنَ البِدَعِ الإِضَافِيَّةِ وَالخِلَافِيَّةِ"[٢].

(١) عدة المريد الصادق، زروق، ص١٨٥.
(٢) إعانة المتوجه المسكين إلىٰ طريق الفتح والتمكين، الشيخ أبي العباس أحمد زروق الفاسي، تحقيق: الشيخ نزار حمادي، ص٥٨.

الخاتمة

مما سبق من هذا العرض، يتضح لنا أن هذا التيار المدخلي بينه وبين قطاع كبير من المسلمين عدم اتفاق، بل لا يقبل الآخر، فضلًا عن مخالفته لكل ما سواه ولو كان علىٰ حق، ولا يقبل الآخر ولو كان محقًا.

وأن من تابع د. محمود الرضواني يجد أنه قد سخر قلمه وشاشته للطعن في المسلمين والعلماء وتشويه صورتهم، فلم يسلم منه القاصي والداني كما تبدو شاشته التي تُسمىٰ بـ(البصيرة)، وكتبه المنشورة عبر موقعه، فكلها تشويه لصورة الفرق الإسلامية، وعدم قناعته إلا بنفسه.

فالتصوف علىٰ الرُغم من كثرة الأقوال عن أصل اشتقاق مادته فلا يعني هذا نفيه، والقول ببدعيته، فكم من الاختراعات الكُبرىٰ تُنسبُ لمخترعيها، فصحيح الإمام البخاري يُنسبُ له، وكذا صحيح الإمام مسلم، ولا غضاضة في هذه النسبة، وعلىٰ الرُغم من إقرار أرباب المدرسة السلفية القديمة بصحة نسبة التصوف للصوف، فإن هذا التيار لا يقبل هذا النقاش العلمي الهادف.

وقد أوردنا الاستشهاد السابق ببعض أقوال الشيخ أحمد زروق الفاسي رحمه الله تَعَالَىٰ والذي يبين اعتقاده، يتضح لنا أن التصوف ليس ابتداعًا ولا خروجًا عن الدين، ولا يمثل عائقًا للعقيدة الصافية، بل عبارة عن تقرير للاعتقاد الصحيح غير الزائغ، بعيدًا عن الغلو والتطرف، من أجل هذا كان التصوف سلوكًا تربويًا مرده الكتاب والسنة، وما خلا ذلك فمردود كما أسلفنا ذكره في تقييد هذا العلم بالكتاب والسنة، وبذا كان اعتقاد أرباب التصوف دون إفراط ولا تفريط، وإذا كان من شطط أو انحراف فهذا لا يمثل التصوف الحقيقي، وما استحدثه الناس من مخالفات لا شأن للتصوف بها، ومن باب الإنصاف أن نذكر الإيجاب والسلب، لا أن نُجهزَ علىٰ الجميع لمجرد اعتقاد ذهني يفتقر للدليل الشرعي، وخاصة أن كل أسماء العلوم ظهرت بعد القرون الثلاثة المنصوص عليها في الحديث الصحيح

عَنْ عَبْدِاللَّهِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)[1]، فهل كل علم ظهر بعد القرون الثلاثة يُعدُ بدعيًا؟!

والجواب: أن هذا كلام فيه مجازفة دون تعقل، فإن العلوم المتعلقة بالشرع الشريف مردها للكتاب والسنة، وكل حكم له تعلق بالشرع بُني علىٰ الهُوىٰ أو الزيغ أو الغلو فهو رد، والعلم الشرعي قال الله تَعَالَىٰ، قال رسول الله ﷺ، فكل العلوم التي تخدم الشرع الشريف بمقياس د. الرضواني تَدخل في العلوم البدعية، وبهذا القول لا بد من نبذ العلوم كلها، وعدم الاشتغال بها.

وختامًا: فإن الأمة ما تقطعت أشلاءً ولا مُزقت إلا بسبب تناحر من ينتسبون للعلم الشرعي، فأصبحت الخطب، والدروس الدينية، واللقاءات الإعلامية عبارة عن قدح في الغير دون قبول له، من أجل هذا ضَعُفت هُوية الأمة، وشُقَ عصاها.

نتائج البحث

١. يُنسبُ هذا التيار للسلفية المعاصرة علىٰ الرُغم من وجود خلافات كثيرة بينهم.

٢. من أوصاف هذا التيار الطعن في العلماء وعدم قبول الآخر.

٣. د. محمود الرضواني يُعدُ أبرز رموز هذا التيار، وذلك لتصدره إعلاميًا عبر قناته (البصيرة).

٤. مُؤلفات د. الرضواني مكررة ولا جديد فيها خاصة في موضوعات التصوف.

٥. اختلف العلماء في اشتقاق كلمة التصوف، والصواب أن الكلمة مشتقة من

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، فِي كِتابِ أصحابِ النبي ﷺ، فِي بابِ فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٣/٥، حديث رقم ٣٦٥١، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ، فِي بَابِ فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ١٩٦٢/٤رقم ٢٥٣٣.

الصوف.

٦. عُرِّفَ التصوف بكثير من التعريفات كلها تدور حول الزهد والأخلاق.

٧. نص د. محمود الرضواني علىٰ بدعية التصوف، وذلك لكونه ظهر بعد عصر سيدنا رسول الله ﷺ.

٨. جزم د. محمود الرضواني بأن التصوف ليس له أي دليل مستمد من القرآن والسنة، مما يؤكد بدعيته، وعدم جواز نسبته للعلوم الشرعية الصحيحة.

٩. مخالفة د. الرضواني لكثير من أعلام المدرسة السلفية الذين قرروا حقيقة التصوف وامتدحوا أهله، وبينوا صلاح أهله واتباعهم لمنهج أهل والسنة والجماعة.

١٠. ذهب د. محمود الرضواني علىٰ صحة اشتقاق التصوف من الصوف.

١١. إخفاق د. محمود الرضواني في استشهاده علىٰ بدعية التصوف، فإن كثيرًا من العلوم ظهرت بعد القرون الثلاثة المنصوص عليها بالحديث الصحيح، كعلم مصطلح الحديث، وعلوم القرآن، والعقيدة، والتوجيد وغيرها من العلوم.

١٢. التطور الدلالي أحد جوانب اللغة العربية، ويتأكد هذا من خلال حمل الكلمة لأكثر من معنىٰ.

١٣. اختلاف الزمان والمكان يؤديان لتطور الكلمات.

١٤. عدم استيعاب المعاجم اللغوية لكل الكلمات كما نص أساطين هذا العلم.

١٥. ثبت بالدليل صحة معتقد علماء التصوف، وأن علم التصوف قائم علىٰ الكتاب والسنة.

١٦. حذر أرباب التصوف من النظر في بعض كتب بعض صوفية الرمز نحو ابن عربي، وابن سبعين، وابن الفارض وغيرهم دون معرفة بقصدهم إلا بعد تمكن السالك ومعرفته برمزية المصطلحات والعبارات.

أهم التوصيات التي يوصي بها الباحث

١. علىٰ أبناء هذا التيارإعادة مراجعة كتبهم، والعمل علىٰ رأب الصدع، وعدم الفرقة، وعدم إطلاق عنان الألسنة للتشهير والتفسيق والتبديع، وذلك التزامًا بقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَىٰ اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

٢. دعوة هذا التيار وغيره للنقاش العلمي الجاد المقبول، ونبذ الفرقة والعصبية المقيتة، وذلك من باب قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

٣. علىٰ أبناء الطرق الصوفية المعاصرة إعادة تطبيق التصوف العلمي، وتنقية هذه الطرق من المخالفات التي شابتها.

٤. يوصي الباحث أن يتم إدراج هذا التيار وغيره من جملة التيارات والمذاهب المعاصرة التي تُقرر علىٰ الفرق الدراسية المختلفة.

٥. يوصي الباحث بضرورة تدريس مقرر مادة التصوف علىٰ الكليات الشرعية والنظرية بالجامعة الأزهرية.

٦. يوصي الباحث بضرورة عقد ندوات لأبناء المرحلة الثانوية والجامعية لتبصيرهم بخطر الفكر المتشدد، وضرورة انتهاج المنهج الوسطي بلا إفراط ولا تفريط.

٧. يوصي الباحث بضرورة إماطة اللثام عن المخطوطات الصوفية المتوافرة بكثرة في المكتبة الأزهرية والتي تعد من أمهات المخطوطات الصوفية السنية، وذلك لوجود قصور شديد في خدمة هذا التراث

٨. يوصي الباحث بضرورة إنشاء موقع الإلكتروني للتصوف يكون تابعًا للمؤسسة الأزهرية، وضرورة وجود مجلة مستقلة تصدر من الأزهر الشريف للدراسات الصوفية دون غيرها.

المراجع

- أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
- أصول السنة، أحمد بن محمد بن حنبل، الناشر: دار المنار – الخرج – السعودية، الطبعة: الأولىٰ، سنة ١٤١١هـ.
- إعانة المتوجه المسكين إلىٰ طريق الفتح والتمكين، الشيخ أبي العباس أحمد زروق الفاسي، تحقيق: الشيخ نزار حمادي، طبعة دار الإمام ابن عرفة، تونس، الطبعة الأولىٰ، سنة ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م.
- اغتنام الفوائد في شرح قواعد العقائد للإمام أبي حامد الغزالي للشيخ أحمد زروق، تحقيق: الشيخ نزار حمادي، طبعة دار الإمام ابن عرفة، تونس، ودار الضياء للنشر والتوزيع، الأردن، بدون تاريخ ولا رقم طبعة.
- الاعتصام، الشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الناشر: دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولىٰ، سنة ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية، بدون تاريخ ولا رقم طبعة.
- تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطّار، تقديم : أ. عباس محمود العقاد، والملك فهد بن عبدالعزيز، طبعة دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٩٠ م.
- تاريخ بغداد وذيوله، الخطيب البغدادي، دراسة وتحقيق: مُصطفىٰ عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، سنة ١٤١٧ هـ.
- تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذي الوصول في أمور أعمها التصوف وما فيه من وجوه التعرف المُسمىٰ اختصارًا بـ(قواعد التصوف وشواهد التعرف)، الشيخ أبي العباس أحمد زروق الفاسي، تحقيق: الشيخ

نزار حمادي، طبعة المركز العربي للكتاب الشارقة، بدون تاريخ ولا رقم طبعة.

- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
- الترغيب والترهيب، أبو القاسم الأصبهاني، تحقيق: أيمن بن صالح بن شعبان ط: دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولىٰ، سنة ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م
- تسعة كتب في أصول التصوف والزهد (الكتاب الخامس: بيان أحوال الصوفية)، أبو عبدالرحمن السلمي، المحقق: الدكتور سليمان إبراهيم آتش، الناشر: االدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولىٰ، سنة ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣م.
- التصوف، ماسينيون لويس، ومصطفىٰ عبدالرازق، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية: إبراهيم خورشيد، عبدالحميد يونس، حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٤م.
- التصوف المقارن، د. محمد غلاب، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، د. ت.
- التصوف من الوجهة التاريخية (بحث)، د. أحمد علوش، مجلة العشيرة المحمدية عدد محرم (١٣٧٦هـ).
- التصوف هل له أصل في الكتاب والسنة، محمود عبدالرازق الرضواني، الناشر: دار ماجد عسيري، جدة، السعودية.
- التطور الدلالي في العربية في ضوء علم اللغة الحديث، د/حسين أحمد صالح، (بحث) في مجلة الدراسات الاجتماعية، جامعة صنعاء، العدد :١٥،يناير، يونيو، ٢٠٠٣م.
- التعرف لمذهب لمذهب أهل التصوف، أبو بكر الكلاباذي، تصحيح: أرثرجون أربري، الناشر: الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة الطبعة: الثانية،

سنة ١٤١٥ هـ = ١٩٩٤م.
- التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ.
- تلخيص العروض، د. عبدالهادي الفضلي، طبعة دار البيان العربي، جدة، السعودية، الطبعة الأولىٰ، سنة ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م.
- تلبيس إبليس، ابن الجوزي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولىٰ، سنة ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
- التيارات الدينية في السعودية، خالد المشوح، طبعة دار الانتشار العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ٢٠١٢م
- الجامية في الميزان، دراسة موضوعية نقدية من بداية ظهورهم إلىٰ وقتنا الحاضر، مشاري سعيد المطرفي، طبعة وتوزيع دار النور المبين للنشر والتوزيع، العبدلي – عمان – الأردن، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م.
- الحركة الصوفية في الإسلام، محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٩م.
- حقائق عن التصوف، الشيخ: عبدالقادر عيسىٰ، طبعة دار العرفان، سوريا، الطبعة السادسة عشر، سنة ١٤٢٨ هـ –٢٠٠٧ م.
- دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة التاسعة.
- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون، المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، سنة ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
- الرسالة القشيرية، عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، تحقيق: الإمام الدكتور /عبدالحليم محمود، والدكتور/ محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف، القاهرة.

- سنن الترمذي، الترمذي، تحقيق وتعليق: الشيخ: أحمد محمد شاكر، والشيخ: محمد فؤاد عبدالباقي، والشيخ: إبراهيم عطوة عوض، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، – مصر، الطبعة: الثانية، سنة ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.
- سهل في التوحيد والعقيدة، د. محمود عبدالرازق الرضواني، طبعة مكتبة سلسبيل للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، سنة ١٤٣٣ هـ – ٢٠١١ م.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة، السعودية، الطبعة: الثامنة، سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
- شرح حزب البحر المُسمىٰ بـ(مفاتيح العز والنصر في التنبيه علىٰ مايتعلق بحزب البحر لقطب الأقطاب سيدي أبي الحسن الشاذلي قدس سره)، تأليف: الشيخ أحمد زروق، تحقيق وتعليق: أحمد فريد المزيدي، الناشر دار جوامع الكلم، الدراسة – القاهرة.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، الجعفي تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي)، الطبعة: الأولىٰ، سنة ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الصفدية، ابن تيمية الحراني، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: مكتبة

ابن تيمية، مصر، الطبعة: الثانية، سنة ١٤٠٦هـ.
- صفوة التصوف، ابن طاهر المقدسي، تحقيق: أحمد الشرباصي، طبعة دار التأليف، مصر، بدون تاريخ ولا رقم طبعة.
- طبقات الأولياء، ابن الملقن، تحقيق: نور الدين شريبه من علماء الأزهر الشريف، الناشر: مكتبة الخانجي، بالقاهرة، الطبعة: الثانية، سنة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلىٰ، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، بدون رقم طبعة ولا تاريخ.
- طبقات الصوفية، أبو عبدالرحمن السلمي، المحقق: مصطفىٰ عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ظاهرة التصوف الإيجابي في فكر محمد إقبال، إعداد / بلحمام نجاة، رسالة دكتوراه ٢٠١١ / ٢٠١٢م، مخطوطة بقسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، بالجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
- عدة المريد الصادق، أحمد زروق، المحقق: الصادق بن عبدالرحمن الغرياني، الناشر: دار ابن حزم، الأردن، الطبعة الأولىٰ، سنة النشر: ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- العقيدة الإسلامية وتاريخها، د. محمد بن أمان الجامي، طبعة: دار المنهاج، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، سنة ١٤٢٥ هـ. ٢٠٠٤ م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ ولا رقم طبعة.
- عوارف المعارف، شهاب الدين السهروردي، تحقيق: أ.د/ أحمد عبدالرحيم السايح، المستشار/ توفيق علي وهبة، طبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، سنة ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

- عوارف المعارف، شهاب الدين السهروردي، تحقيق: محمد عبدالعزيز الخالدي، طبعة دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،بدون تاريخ ولا رقم طبعة.
- غاية المريد في علم التجويد، عطية قابل نصر، الناشر: القاهرة، الطبعة: الطبعة السابعة مزيدة ومنقحة.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف علىٰ طبعه: محب الدين الخطيب، الناشر: دار المعرفة – بيروت، سنة ١٣٧٩ هـ.
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، حققه وخرج أحاديثه: عبدالقادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، سنة النشر: ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.
- فصول في علم الدلالة، د. فريد عوض حيدر، طبعة ونشر مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠١١ م.
- كفاية الطالبين، د. محمود عبدالرازق الرضواني، طبعة مكتبة سلسبيل للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، سنة ٢٠١٠م.
- لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن علىٰ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.
- اللمع في التصوف، السراج الطوسي، تحقيق أ.د/ عبدالحليم محمود، أ. طه عبدالباقي سرور، طبعة دار الكتب الحديثة، القاهرة، سنة ١٩٦٠م.
- اللوائح الفاسية في شرح المباحث الأصلية علىٰ جملة الطريقة الصوفية، الشيخ أبي العباس أحمد زروق الفاسي، تحقيق: د. محمد عبدالقادر نصار، أ. عبدالله جمال حمدنا الله، طبعة دار الاحسان للنشر والطباعة . القاهرة مصر، الطبعة الأولىٰ، سنة ٢٠١٥ م.
- مجموع الفتاوىٰ، ابن تيمية الحراني، المحقق: عبدالرحمن بن محمد بن

قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

- مجموع رسائل الجامي في العقيدة والسنة، د. محمد بن أمان الجامي، الناشر: دار ابن رجب للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ، سنة ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م.
- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، ابن خلاد الرامهرمزي الفارسي، المحقق: د. محمد عجاج الخطيب، الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: الثالثة، سنة ١٤٠٤هـ.
- مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، سنة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
- المدارس النحوية، شوقي ضيف، بدون تاريخ،دار المعارف،الطبعة السابعة.
- مدخل إلىٰ التصوف الإسلامي، د. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، طبعة دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٦٧٩م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولىٰ، وآخران، دار الجيل، بيروت.
- مسند أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ، سنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
- معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبدالحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ)، بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولىٰ، سنة ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،الفيومي، الناشر:المكتبة العلمية - بيروت.

- المعجم الوسيط تأليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفىٰ، أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
- مظاهر التطور الدلالي في كتب لحن العامة من القرن الثاني حَتَّىٰ نهاية القرن الرابع الهجري، د. أحلام فاضل عبود، كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية العراق، المجلد: الثاني، العدد: الثاني، كانون الأول ٢٠١٢ م.
- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، السيوطي، المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة، مصر الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م.
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، راجعه وعلق عليه: د.أنس محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- معراج التشوق إلىٰ حقائق التصوف، ابن عجيبة، تحقيق: عبدالمجيد خيالي، طبعة مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولىٰ، سنة ٢٠٠٤ م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، سنة ١٣٩٢ هـ.
- منهج الأنبياء في الدعوة إلىٰ الله فيه الحكمة والعقل، ربيع بن هادي المدخلي، الناشر الدار السلفية، تونس، الطبعة الأولىٰ، سنة ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م.
- نور التحقيق في صحة أعمال الطريق، الشيخ: حامد إبراهيم محمد صقر، طبعة مطبعة دار التأليف بمصر، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.